

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

البرقيات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - طابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٨٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٩ رمضان سنة ١٣٦٥ - ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

مما زير على كتابنا (في أصول الأدب) :

الجازية في القصص

أما جازية الوجدان ، فإن يحرك القصص في نفسك عوامل الألم أو اللذة ، ويشير في حرك موافق الحنان والقلق والنعش والمحول والغزاء ، ويذيقك لذة الشعور بأنك حساس ؛ وهذه أمتع اللذات جماء . تلك كانت جازية الوجدان أقوى من أختها ، فهي تفتي عنهما وهما لا تفتيان منها . ولوتأملت في هذه الأحاديث (الحواديت) التي سارت الإنسانية من جيل إلى جيل ، وتدكرت فطرها الساحر في قلبك وأنت صغير ، وجمال ذكراها في نفسك وأنت كبير ، لعلت أن سر حياتها وقوتها ولتتها هو أن جازيتها من هذا النوع .

وأحسن القصص وأجوده ما اشتمل على أنواع الجازية الثلاثة . وشرط الجازية أن تتدرج في أجزاء الموضوع فتبدأ بصفة ثم تنمو كما نما العمل وتمتد الحادث حتى تنتهي مع الحل وقد استراح السامع وتقع نفسه . ومن ثم كان حقاً على الكاتب ألا يروح في البداية بما سيحدث في النهاية ، وإلا أخطأ التوفيق وقاه التخبوت وأعوزته الجازية . وإذا عرفت أن قوام الجازية في القصص هو حسن تدرجها فيه ودقة توزيعها في مناحيه ناسب أن نعرض هنا إلى عناصره فنقول :

عناصر القصص الأساسية ثلاثة : المرض ، والتفكير ، والحل ؛ فالمرض يقوم بإعداد ذهن القارئ أو السامع إلى موضوع القصة أو الرواية أو المنسبة . فيصنع مكان الحادث وزمانه .

الجازية هي الشوق الذي يبعث اللذة ويشير الاهتمام ومحرك الانتباه ويربط السامع أو القارئ بموضوع القصة أو الرواية . وبعث هذا الشوق اختيار الموضوع المفيد أو الطريف ، واصطناع الأسلوب الخالي والصور البراقة والنوادر الممتعة والحوار القصير السيد . وأرهنه الجازية إما أن ينال النهن أو الخيبة أو الوجدان . فجازية النهن أن يكون القصص مبعثاً للنور ومصدراً للمعرفة وداعياً إلى التفكير ، كالجازية التي تحسبها وأنت تقرأ ناسيت أو ابن خلدون . ومثل هذه الجازية تكفي في القصص التاريخي دون القصص الشعرى ، لأن الأول أساسه التعليم والإقناع ، والثاني أساسه التأثير والإمتاع .

وجازية الخيبة تكون بتصوير مناظر الطبيعة للنفس وبجلاء ألوانها للعيون ، بالوصف الصادق والأسلوب القوى ؛ ولكن هذه الجازية إذا لم تقترن بأخرى لا تلبث أن تبوخ وتضف ، فإن النفس لا تملق إلا بما يثيرها أو يثيرها ، فإذا لم يثير القصص فلا أقل من أن تستفيد منه

يحكم عليها القضاء بالعيش في مواخير الفجور إذا هو لم يقدم
القربان إلى الألهة . كان حبه لزوجه فوق حبه لحياته ، فهل يكون
حبه لربه فوق حبه لزوجه ؟ ذلك ما لا ندره

« أغنى على أودور ، وأسرع الناس إليه ، والتف الجند من
حوله ، واستولوا على الكتاب ، وطلب الشعب أن يُقرأ عليهم .
فقرأ أحد النواب بصوت جهير . وظل الأساقفة سكوتاً والهيمن ،
والمجلس يبعج بالضجيج والحركة . عاد أودور إلى رشده ، فرأى
الجند بين يديه يصيحون به : « هلم يارفيقنا ، قرب القربان ،
وهذه أعلامنا تقوم مقام الهيكل » ، ثم قدموا إليه قدحاً مملوئاً
بالتيذ ليريقه^(١) . فثارت في قلب أودور عواصف الفتنة ، وبجاذبت
رأيه عوامل الوسواس : كيف تصير «سيمودوسيه» إلى مواخير
الفسق ؟ وكيف تصبح بين ذراعي «هيروقليس»^(٢) ؟ نفع
الشهيد صدره ، وانكسرت آلة عذابه ، فسال دمه غزيراً ،
فضج الشعب وجثا إشفافاً عليه ورحمة له ، وأخذ يهيب به مع
الجنود : « قرب القربان ! قرب القربان ! » . هنالك قال أودور
بصوت خافت مناهت : أين الأعلام ؟ ففرع الجنود تروسمهم
علامة الفلج والظفر ، وبادروا إلى أعلامهم فحملوها إليه . فنهض
أودور يسنده حارس ، وتقدم حتى وقف أمام البنود ؛ وقد خشمت
الأصوات وشمل السكون ، ثم تناول القدح فستر الأساقفة
رءوسهم بفضل موحهم ، وساح التساوسة صبيحة الجزع .
ولكن أودور رمى بالقدح ، وألقى بالأعلام ، والتفت إلى الشهداء
وقال : أشهد أني مسيحي !! »

فأنت ترى أن جاذبية قوية استولت عليك وأنت تقرأ هذه
القطعة ؛ لأن غزم أودور ظل مجهولاً حتى نهاية الأمر . فلما طلب
الأعلام بصوت خافت وقع في ضحك بعض ما وقع في نفوس
الشهداء والمسيحين من الضيق والحزن . حتى إذا أهاب به
التساوسة إلى الواجب وألقى بالقدح وقال : « أشهد أني مسيحي »
تفرجت من الهم وتنفست تنفس الراحة !

محمدين عزرايت

(١) كان من عادة الشهداء أن يرقوا الخربل تهديم قربان .

(٢) أحد القضاة الرومانيين في عهد دقلبيان .

ويُعرف الأشخاص وأخلاقهم ، ويذكر الحوادث التي سبقت
القصة إذا كان هناك داع إلى ذلك . وقد يطول أو يقصر على
حسب الموضوع ، ولكن أخص صفاته أن يكون سريعاً إلى
الغرض بريئاً من المقدمات ، واضح النهج ، سالماً من الحشو
والتكلف ، داخلاً في الموضوع ، خارجاً منه خروج الزهرة من
الساق كما قال شيشرون . أما طريقته فتختلف باختلاف الحادث
والظروف ؛ فطوراً يلقى الكاتب بالقارى في الموضوع دفعة
واحدة ، ثم يسوق الحوادث الأولى ببراعة ودقة ؛ وطوراً يبتدىء
متفجراً بماطفة مكظومة منذ طويل ؛ وقد يبتدىء بحكمة بليغة ،
أو مثل سائر ، أو رسم طبوغرافي مشوق ، أو وصف تاريخي
ممتع . والمبكرة الخالقة لا تُرسم لها الطرق ولا توضع لها القيود .

والتعميد هو جسم القصة ، أو الموضوع الذي تشتد عنده
المجازية ، وتشبك الحادثة ، وتخرج الوقائع والأشخاص
والظروف ، حتى يُشكل على القارى الأمر ويسمى عليه الخبر
فلا يعرف منه مخرجاً ولا يدري له نتيجة . فخاصته كما رأيت
تقوية المجازية وتنميتها ؛ ولا يتسنى ذلك للكاتب إلا إذا أسدل
على النهاية حجاباً شفافاً ، ووقف القارى بين الرجاء والخوف ،
وجانب التطويل الذي يموق سير العمل ، واحتفظ للنهاية برور
المفاجأة أو دهشة الفجيمة

والحل هو الجزء الأخير الذي يبرد فيه الشوق وتعمل العقدة
وتظهر النتيجة . ولا بد أن يكون كل ما سبقه مهيئاً له وصارماً
إليه ، دون أن يملنه أو يدل عليه . فإن القارى إذا حزره قل
شوقه إليه وانقطع اهتمامه به . والشرط الأساسي لإجادة الحل
الاتياد عليه ، لأن السامع إذا علم ما كان يجمله ، وأدرك ما كان
يشغله ، قرت نفسه وخذ نشاطه ، فلا يريد أن يعلم شيئاً

ومن أحسن التل على دقة التعميد وبراعة الحل قطعة من
كتاب «الشهداء» لثاويريان سيد كتاب فرنسا يصف بها مقتل
الشهيد «أودور» ، وقد حمل نفسه على أن يجعل القصة الأخيرة
من عذابه الأليم دون أن يرتد عن دينه ، ولا أن يترشح عن
يقينه ، حتى نعى إليه أن امرأته (سيمودوسيه) على وشك أن

بجتهدى الأرض فيتمسك به ويخطئ. المخالفين له : من كان منهم
ومن سيكون إلى يوم القيامة . ولم لا ؟ إنه رجل وهم رجال ،
والساعات والنجار والموسيقى رجال أيضاً ، فلماذا لا يكونون
أمة مجتهدين ، ما دام العلم بالريية نحوها وصرفها وبلاغتها ،
والفقه أصوله وفروعه ، والتفسير والحديث ليس شرطاً في الاجتهاد؟
وما دامت الحكومة تمنع غير الطبيب أن يكتب صفة دواء ،

وغير المهندس أن يرسم مصور بناء ، وتدع من شاء يتكلم في
الدين والأدب بما شاء ؟ وما دام كل ما يحتاجه الرجل في هذه
الأيام ليكون واعظاً مرشداً يقتدى به ويستمتع بقوله ، وتقبل
يده ويتمسحُ بذيله ، أن يمرض لحيته ، ويكور عتمته ، ويوسع
جيبته ، ويطول سُبُحته ، ويتكلم كلاماً تقبله العامة ، ولو خرف
وخلط وضلل ، وأكل الدنيا بالدين ، واستغل غفلة الناقلين ،
لا يسأله سائل عما يفعل أو يقول !

لا ... لن أتكلم في الدين ، فالكلام فيه شديد الخطر ، فأنا
أخشى أن أقول الحق فأغضب الناس ، أو أقول الباطل فأسخط
الله . ثم إنى طلبت الليلة سمرضاة الساميين ، وأكثر الساميين
لجهلهم بالدين ، ولطول ما رأوا من أذعياء العلم فيه ، منصرفون
عنه زاهدون في حديثه ، حتى الأهياء الصالحون منهم ، الذين
يتمسكون في رمضان بدينهم ، فيقضون نصف النهار في (الأموى)
ناعمين يشخرون وينخرون^(١) أو متحلقين حلقاً يمزحون في الجامع
ويضحكون ويكذبون وينتابون !

فلتتكم في الأدب ، فالأدب أصل عاقبة ، وأوسع حرية ،
وهو هين على وعلى غيري ، وقد صار الأدب الآن كوصل ليلي
كل يدعيه ، وكل من يستطيع أن يكتب كلاماً في ورقة ،
ويجد صقافاً يصف له حروفه ، وصاحب جريدة ينشره ، فهو
كاتب بليغ ، وكل من يأتي بلفظ موزون أو شبه موزون فهو
شاعر مقلق ، وكل من يحفظ خبراً عن أبي تمام والمتنبي ، أو
هوغو ولأمارتين ، أو شكسبير وملتون^(٢) ، فهو أديب أريب ،
وكل من عاب كاتباً كبيراً بحق أو يباطل فهو ناقد محقق ، ومن
يمز عن أن يفكر كما يفكر أبناء آدم عليه السلام ، ويحكى كما

على كل ما في الدنيا من محاضرات ، ولكنكم تستطيعون أن
تديروا. مفتاح الراد ، فتخلصوا مني ومن محاضرتي ، وتبعثوا
إلى بما يوحيه إليكم نبلكم وكرمكم من الشتام واللمنات التي
لا أسمع منها شيئاً ، ولكن المصيبة على أنا ، لقد حُبت في
مارستان ، لا أخرج منه حتى أكلم علية من حديد ربع ساعة
لا تنقص ثانية ولا تزيد !

فلنستم بالله ، ولتحدث ...

ولكن خيروني أولاً : هل تسمعون كلامي حقيقة ؟
أما أنا فلا أصدق أنكم تسمعون مني ، وكيف يسمع من
هو في المهاجرين وحص وحب والقاهرة وطهران ما لا يسمعه
هذا الأخ الجالس أمامي وراء الزجاج ، والذي يبدو عليه أنه
لا يدري ما ذا أقول ، فلا يتسم ، ولا يعبس ، ولا يفتح عينيه ،
ولا يرفع حاجبيه ، ولا يصنع شيئاً يدل على أنه سامع ، وهذا
من نعم الله على ، فلو سمعنا أنكم عنه لما نجوت منه بسلام !
فإننا كنتم تسمعون (يا سادة) كلامي ، فأشيروا إلى ،
أو صفقوا ، أو قربوا أفواهكم من (الراد) وصيحوا - إنى
انتظرت فلم أسمع صيحتكم ، فلم يبق إلا أن أصنع كما صنع زميلنا
المحترم (جنجا) ، حين أذن ونزل من المنارة يمدو ، قالوا : إلى
أين يا جنجا ؟ قال : أريد أن ألحق صوتي فأنظر إلى أين وصل ؟
ولنفرض أنكم سامعون ، فمحدثكم ؟ ومن لى بالحدث
الذى يرضيكم جميعاً : العالم منكم وغير العالم ، والرجل والمرأة ،
والكبير والصغير ، وأي معلم يستطيع أن يلقى درساً واحداً يفهمه
تلميذ للدرسة الأولية وطالب الجامعة ومن بينهما ورضون عنه
ويعجبون به .

لقد فكرت طويلاً ، وحشدت قوى قسى كلها ، وما تعلمت
من علم وما حفظت من مسائل ، لآتيكم بحديث يدهشكم حتى
تقولوا : ما شاء الله كان ! ما هذه المحاضرة ؟ شيء عظيم جداً ،
ولكني لم أستقر على موضوع ...

قلت : الدنيا الآن في رمضان ، وخير الأحاديث حديث الدين ،
وما أسهل الكلام في الدين في هذه الأيام وما أسهل أن يحمل
الره نفسه مجتهداً ، وأن يرى الرأي المخالف لأبي حنيفة ومالك
والشافعي وأحمد بن حنبل والليث بن سعد والأوزاعي ، وكل

(١) من النامى الفصح .

(٢) لأن المودة تحولت ضد الجلاء من يذهب إلى الجند .

صور من العصر العباسي :

الخلفاء العباسيون والتجسس

للاستاذ صلاح الدين المنجد

- ٢ -

وثمة خليفة آخر أولوج بيت الميون ، وتسقط الأخبار ، حتى على وزرائه وخامته ، وهو المتضد . وقد أورد التنوخي قصة تدل على مبلغ شغف هذا الخليفة بالتجسس ، ومهارة التجسسين في ذلك العصر . فقد كان القاسم وزيره يحب الشرب واللعب ، ويحاف أن يتصل بالخليفة خبره فيستقصه وينسبه إلى الصبوة والهتك والتشاغل في اللذات عن الأعمال . وكان لا يشرب إلا سحلي أخفى وأستر ما يكون . تغلابوما مع جوارٍ مغنيات ، وابتس من ثيابهن المصبغات ، وأحضر فواكه كثيرة وشرب ولب عن نصف النهار إلى نصف الليلة الأخرى ، ونام بقية

يتكلمون ، ففكر تفكيراً غير آدمي ، وتكلم كلاماً ليس بإنساني ، فهو شاعر رمزي ، وإن في الرمزية متسماً لجميع الأغنياء والأدعياء . وإذا شك القراء أنهم لا يفهمون هذا الأدب الرمزي ، فالقراء جاهلون رجيون جامدون !

لا - يا سادة - إن الأدب امتسهن وايتسذل ، فلن أتكم في الأدب !

أفأتكم في السياسة ؟ إن السياسة في بلدنا أن ينتقد الرجل قوانين الحكومة ، ويتكلم في رجالها ، ويتهم كل أمين يكرهه بالسرقة ، ويصف كل سارق يحميه بالأمانة ، ويكون له رأى في الملك عبد الله ، وابن السمود ، واتلي ، ومولوتوف ، ورومان ، ويرسم أحسن الخطط لهجرة الغلاء ، وتنظيم ملاكات الموظفين ، وحل مشكلة فلسطين ، وإدارة ألمانيا المحتلة ، ويقترح وجوه الإصلاح للجامعة العربية ، وهيئة الأمم المتحدة ، ولو كان تاجراً أمياً ، أو سائق ترام ، أو شيخ ضيعة ، يضع بصمة إبهامه مكان التوقيع على دقار الانتخابات !

لا... لن أتكم في السياسة ، أنا محدث إليكم في الفلسفة ؟

الليلة ، وبكر إلى المتضد للخدمة على رسمه ، فا أنكر شيئاً . وبكر في اليوم الثاني ، فحين وقمت عين المتضد عليه قال له : يا قاسم ، ما كان عليك لو دعوتنا إلى خلوتك وألبستنا منك من ثيابك المصبغات ؟ فقبّل الأرض وروى عن الصدق ، وأظهر الشكر على هذا التبسط ، وخرج وقد كاد يتلف غمماً لوقوف المتضد على هذا القدر من أمره ، وكيف لا تجنى عليه موافقه . فجاء إلى داره كثيباً ، وكان له في داره صاحب خير يُقال له خالد يرفع له أموراً ، فأحضره وعرفه بما جرى بينه وبين المتضد ، وقال له : إن بحثت لي عنم أخرج هذا الخبر زدت في رزقك وأجزتك كذا ، وإن لم تعرفه فثبتك إلى عُمان ، وحلف له على الأمرين . فخرج صاحب خبره من حضرته متحيزاً كثيباً لا يدري ما يعمل ، وأخذ يفكر ويحتال ويجهد . قال صاحب الخبر : فلما كان من الغد بكرت إلى دار القاسم زيادة تكبير على ما جرى به رسمي لفرط سهري وقلقي تلك الليلة ومحبتي للبحث ، فبحثت ولم يُفتح باب دار القاسم بعد . فجلست . فإذا برجل يزحف في ثياب المكدين ومعه غلالة كما يكون مع المكدين . فلما جاء

لقد اشتقت بها حيناً ، وأنا أستطيع أن أتلفس متى أردت ، ولا يكافئ ذلك إلا أن أقول ما لا أفهمه أنا ولا القراء ، وأن أنظر كل ما تواضع عليه الناس من أفكار وعادات ، فأقيم لهم أدلة قاطعة لا تدرك ، على أنه خطأ وأن الصواب هو عكسه !

ويمد - يا أيها السادة - فاعلموا أن وقت حديثي قد انتهى ، وأنى قد خدعت القاعين على المحطة ، فأطعتم وكلمت العلبة ربع ساعة ، وقبضت الأجرة ، ولم أقل شيئاً . وكذلك يكون الرجل الناجح في هذه الأيام ، يأخذ الأجرة من غير عمل ، ولنا في ساداتنا العلماء الأعلام مدرسي دائرة الفتوى قدوة غير حسنة ...

هذا ، وأنا لا أدري هل يدقون لي أجرة ، أم أنهم سيكتفون بشكري الجزيل ... فإذا أعطونا شيئاً ربحناه ، وإلا خسبنا أننا لم نعطهم شيئاً نندم عليه !

ولا تمجبوا - يا سادة - فكل الناس تاجر يمرض بضاعته ، ونحن مشر الأدياء بضاعتنا الكلام ، وكل كلام له ثمن ، فهاؤوا كثيراً تسموا جيداً ، وإلا فالبضاعة كلها من هذا النوع !

على الطنطاوي

(دسقى)

فاستدعاه وقال : لتصدقني عن أمرك أو لا ترى ضوء الدنيا ولا تخرج من هذه الحجرة . قال : تؤمنني ؟ قال : أنت آمن . فهض وقال :

« أنا فلان بن فلان الهاشمي ، رجل متجمل ، وأنا أنخبّر عليك للمتضد منذ كذا ... ويجرى على المتضد خمسين ديناراً في الشهر ، أخرج كل يوم بالزى الذي لا ينكره جيرانى ، فأدخل داراً في الخلد بيدي منها بيت بأجرة ، فيظن أهلها أنى منهم ، ولا ينكروننى لزى ، فأخرج هناك بهذه الثياب وأترامن من الموضع ، وألبس لحية فوق لحيتى مخالفة للون ، حتى لا يعرفنى من يلقانى في الطريق ، وأمشى زحفاً إلى دارك ، فأعمل جميع ما عرفت ، وأقتنى أخبارك من غلمانك ، وهم لا يعرفون غرضى ، ويُخرجوننى بالاسترسال ما لو بُذل لهم فيه من الأموال الكثير لم يُظهروه ، ثم أخرج إلى موضع من الخلد فأغثير ثيابى ، وأعطى ما اجتمع منى في الخلة للمكدين ، وألبس ثيابى الحسن ، وأعود إلى منزلى ، فإذا كان المساء جئت من خادم من خدم ابن طاهر مندوب لهذا ، فأرئى إليه رقعة فيها خبر ذلك اليوم ولا أفتح له باباً ، فإذا كانت آخر الشهر جئت فأعطيته الرقعة وبعطيتى الجائزة ... ! »

قال صاحب الخبر : فخبه القاسم أياماً فخبه أهله أنه مات ، فأقاموا عليه المآتم ، فدخل القاسم على المتضد فقال له : ابراهيم الهاشمى الترامى ، بحياتى أطلقه وأحسن إليه . وأنت آمن من بعدها من أن أنصب عليك صاحب خبر فتركه القاسم ، وانقطعت أخباره عن المتضد^(١)

فهذه قصة رائمة طريقة تدلك على مبلغ خب المتضد تسقط الأخبار ، ومبلغ مهارة أهل ذلك العصر في الحيلة والبراعة في التجسس ، وهي قصة لا تحتاج إلى تعليق ، فاقترأت في بابها في كتبنا القديمة أشوق منها ولا أحل

ومن هذه القصة ، ومن الأخبار التى مررتك في المدد الماضى - من قبل - ترى ما كان للتجسس من شأن عند الخلفاء العباسيين . أما عناية الوزراء بالتجسس وتمسك الأخبار ، فسأينته في مقال آت

صريح الربيع المنجم

جديداً (لبنان)

(١) انظر الفرج مد السنة ج ١ ص ٩٢ وما يتبعها .

إلى الباب جاس حتى نُفتح ، فسبقنى إلى الدخول ، فأولع به البوابون وقالوا : أى شيء خبرك يا فلان ؟ وصفوه فازجهم وطايهم وشتهم وشتموه ، وجلس في الدهليز فقال : الوزير يركب اليوم ؟ قالوا : نعم ... الساعة يركب . قال : وأى وقت نام البارحة ؟ قالوا : وقت كذا . فلما رأيته يسأل عن هذا تختمت أنه صاحب خبر ، فأصنيتُ إليه ، ولم أرم بحفلون بأمره . وهو لم يدع بواباً ممن وصل إلى الوزير وممن لم يصل إلا سألته عنه ، وكان يبدأ بأحاديث أخر على سبيل الفضول ، ثم زحف فدخل إلى جنب أصحاب الستور ، فأخذ معهم في مثل ذلك ، وأخذوا معه في مثله . ثم زحف فدخل إلى دار العامة . فقلت لأصحاب الستور : من هذا ؟ قالوا : رجل زيم فقير أبه طيب النفس ، يدخل الدار ، ويتطايب ، فيهب له الغلمان والتصرفون . فتبعته إلى أن دخل المطبخ فسأل عما أكل الوزير ، ومن كان معه على المائدة ، وفي أى شيء أفاضوا ، والطباخ وغلمان صاحب المائدة كل واحد يخبره بشيء ، ثم خرج زحف حتى دخل حجرة الشراب ، فلم يزل يبحث عن كل شيء ، ثم خرج إلى خزانة الكسوة ، فكانت حالته وصورته هذه . ثم جاء إلى مجلس الكتاب في الديوان ، فأقبل يسمع ما يجرى ، ويسأل المصبي بعد المصبي ، والحدث بعد الحدث ، عن الشيء بعد الشيء ، ويخلط الجذب بالزجاج والتطايب بكلامه والأخبار تنجر إليه ، وتتساقط عليه ، والقطع تجيبه وهو يملأ تلك الخلة ، فلما فرغ من هذا أقبل راجماً . فلما بلغ الباب تبعته ، فرجع حتى جاء إلى موضع من الخلد فدخل إليه ، فوقفت أنتظره ، فإذا هو بعد ساعة قد خرج بثياب حسان ماشياً ... فتبعته حتى جاء إلى دار قرب دار الخادم الموكل بمحفظ دار ابن طاهر فدخلها ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه دار فلان الهاشمى ، رجل متجمل . فرصدته إلى وقت المغرب ، فجاء خادم من دار ابن طاهر فدق الباب ، فكلمه من خوخة له ، فصاح به ، ورمى إليه رقعة لطيفة ، فأخذها الخادم وانصرف . فبكرت من سحر إلى الدار التى في الخلد ، وبمى غلمان ، فإذا أنا بالرجل قد جاء بزيه الذى دخل به داره ، فكببته في الموضع ، فإذا هو قد تزع تلك الثياب ولبس ثياب المكدين التى رأيتهما عليه أولاً ، فحملته وغطيت وجهه وكتمت أمره حتى أدخلته دار القاسم ودخلتُ إليه وقصمتُ عليه الخبر .

إلى الجمع الثوري :

الأسماك في الشواطئ الحضرية

للأستاذ علي عبود العلوي

تمهيد :

لا شك أن وجود الأسماك بكثرة في الشواطئ الحضرية هو الحافز الأعظم لبعض مفكري الحضارة في السواحل وتأسيس شركة تجارية بمهجر الحضارة (جاوة) من فائتها استقلال الثروة الوطنية وتنميتها بإنشاء مصنع لحفظ الأسماك في العلب وتصديرها فيما بعد إلى الخارج .

ولا غرو أن يهتم بالسفر إلى ميناء حضرموت (المكلا) رئيس الشركة السيد علي بن شهاب للدرس ما يقتضيه المشروع ورفع تقرير لأعضاء الشركة . غير أن المشروع أخفق في مساه ولا أعرف بالضبط ما هي الأسباب الموجبة لذلك . وتاريخ هذه الخطوة التفكيرية الأولى يرجع إلى أثناء الحرب الماضية حرب (١٩١٤ م) على ما ذكر (١) .

ولئن أخفق هذا المشروع فإنه لم يقض على الفكرة أصلاً . وقاية ما في الأمر أنها تبلت مرة وتخت أخرى . حتى دب إلى النفوس خبر انعقاد مؤتمر الإصلاح الحضري التعمد بسنغافورا في سنة ١٣٤٦ - ١٩٢٧ فانبثت الفكرة مرة أخرى ، ولكن في صورة واسعة النطاق . إذ وافق المؤتمر على تأسيس شركة تجارية حضرية برأس مال كبير من فائتها استقلال الثروة الوطنية ، وورش لهذا القرار لجنة تتألف من أغنياء الحضارة وسراهم برئاسة المثري الشهير السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف . غير أن مقررات المؤتمر قضى عليها بجمرة قلم ولم تكن هي من نصيب بحثنا لنولها مزيداً من البحث والتعميل والتدليل .

ودليل آخر أضيفه إلى ما سبق أن أشرت إليه فقد حدثت

(١) في جريدة الأقبال التي كانت تصدر (بريايا) جاوة - إشارة إلى هذا الخبر وهي لا تحضرني الآن .

بعد عودتي إلى الوطن من الكنافة في ١١/٨/١٩٤٢ من رحلتي التي استغفدت من العمر زهاء خمس عشرة سنة أن عظمة السلطان صالح بن غالب القميطي معتمراً إنشاء حوض كبير لتربية الأسماك والاستفادة منها علياً .

فتي يتحف عظمة السلطان شعبة الحضري بهذه المكرمة الجليلة التي لم تكن هي إحدى مكارمه ؟ فعمى أن يكون ذلك قريباً .

معجم للأسماك :

واغتنتم فرصة وجودي في (المكلا) للتعرف إلى أبناء النهر الحضري ، وقد لقيت منهم تاهيلاً كبيراً ، ومن تحدثت معه عن وضع معجم للأسماك الأستاذ عبد الله الناخي فهش للفكرة - وقال : إن نفس هذه الفكرة قد سبق أن أوحى بها إليه عظمة السلطان صالح القميطي ، ومن أجل ذلك فإنه نائب في البحث ، وأنه قد كتب مذكرة عن الأسماك تضم زهاء مائتين وخمسين اسماً .

ولا أزال أرجو من الأستاذ الناخي أن يجد في البحث لكي يتحف العالم العربي بشمرات أبحاثه .

غير أنني أخشى أن تقعد بالأستاذ الناخي أعماله المدرسية وشواغله اليومية . فقد اتضح لي أنه طيلة مدة التي قضيتها في حضرموت وهي سنة وثلاثة أشهر لم يقدر له أن يواصل البحث الذي سبق أن حدثني عنه بشئ . يذكر .

وقبل أن نتجه إلى الغاية المقصودة بمجدد بنا الإشارة إلى أن السيد الشاعر عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين العلوي المتوفى في حدود سنة ١٢٧٠ هـ قصيدة طويلة ضمنها أسماء الأسماك الموجودة بالشط الحضري ، ولم تقع هذه القصيدة تحت نظري وإنما حدثت عنها وهي مشهورة بحضرموت وموجودة منها نسخ في مهجر الحضارة . جاوة ، ولئن تخلو منها مكاتب حضرموت ، ولا شك أنها من محفوظات خزنة حفيده السيد الجليل عبد الرحمن بن عبد الله بن شهاب في (الفناء ترم) .

فهل يتحف بها « الرسالة » القراء أحد أدباء القطر الحضري ؟ ومما وقع تحت نظري له وأنا في سن المراهقة قصيدته المشهورة التي وصف فيها المرأة وحصنها بالقاضلة ما بين البيض والسمر والخضر والسود .

فياهل ترى وصف لنا الصهب والزرق إلى غير ذلك ؟ لا أدري
فذلك عهد طال به العهد ولم يبق عالفاً ببال منه شيء .

ومن قصائده المشهورة في المفاضلة قصيدته التي خصها
بالنخل ويقال إنه ذكر فيها زهاء مائتين وخمسين اسماً من أسماء
النخيل الموجودة بحضرموت .

ومما علق بداً كرتي منها قوله بصف نوعاً من النخل يسمى باليتيمة :
وعادُ تمر اليتيمة ، يُعجِبُكَ خُزْءُهُ وَصَيِّمُهُ تَقْدُومُ
لأهل التَّفَخُّارِ . التَّخْمِيسِ (مائىء كما التمر في الدار) .

(الألفاظ : عاد . بمعنى بقي . والخزعُ من التمر ما أخرج
نواه . الصَّيْمُ : هو ما أخرج نواه أيضاً ، وهُرس بالأرجل
كما هو معروف في حضرموت . أهل التَّفَخُّارِ : هم الضيوف
الذين يقدون على بيوت الكرم ممن يفخر بهم)

وأكثر أشعار هذا السيد (حَمِينِيَّة) أي أنه لم يلتزم
فيها قواعد الإعراب ولها عروضها الخاصة لأنها تتابع الأنعام .
وهذا السيد هو والد الشاعر الكبير شيخ النهضة الحضرمية
أبو بكر بن شهاب (راجع « الرسالة » الفراء عدد ٤٢٣ صفحة
١٠٠٧) ومؤلفنا عنه (الشهاب العلوي) .

وأخيراً أتاحت لي الفرص التعرف على أسماء جانب من الأسماك،
وذلك بفضل الرحلة الشاقة التي دفعت نَمَّها بالمخاطرة الروحية .
إذ أقلتني من ميناء حضرموت (السكلا) إلى (جدة)
ساعية شراعية . حقاً إن هذه الرحلة شاقة مضنية ولكنها
تذكرنا بآثار آبائنا الصَّيِّد الذين كانوا يحترفون البحار بمرآكهم
الشراعية ، وكانت لهم السيادة البحرية إذ ذاك .

وكانت بواخرهم تطلع من سوانى حضرموت إلى أقصى
الشرق الأقصى ، ولم في هذا الميدان تاريخ عظيم القدر مشهور
بمكانته العظيمة . ولم مع البرتغال مواقف مشهورة ليس هذا
موضع الحديث عنها .

وكان علماءهم لا يدعون الأوقات تمر عليهم سدى فكانوا
يحصلون العلم وهم في أثناء سفرهم الذي يمتد بهم إلى أكثر من
سنة أشهر إلى أن يصلوا إلى الموانئ الشرقية بجزر الملايو وجاوة .
وفوق هذا فقد كانوا يقضون على السامة التي تعقب مثل
هذه الرحلات الشاقة بما يتفرغون له من دروس علمية أثناء

سيرهم واستفناخ بعض الكتب العلمية التي هم في حاجة إليها .

وعسى أن تتاح لي الفرصة فأوافق « الرسالة » الفراء
ببحث خاص ذات صلة بالموضوع ، ومن كان متمجلاً فليراجع
ما ورد بهامش مقال لنا نشر في عدد ٢٣٤ من مجلة الرابطة
العربية تحت عنوان : خصائص الشعر في عصر ابن شهاب
أو بيل غلته بمراجعة تاريخ دخول الإسلام إلى (الفلبين) وهو
من تأليف الدكتور نجيب صليب اللبناي التوفى سنة ١٩٣٥ ،
وهو مطبوع في اللغة الإنجليزية طبع (مينلا) سنة ١٩٥٥ م -
لقد كانت المدة التي قضيتها في البحر من حين أبحرنا من
(السكلا) بعد ظهر يوم الأحد في ١٩٤٣/١١/٧ إلى أن أرسد
بنا السفينة في ميناء (جدة) في ١٩٤٣/١١/٢٥ هي الكفيلة
بأن تتيح لي ما لم يكن في الحسبان .

وكانت الدوامى التي تجلنى أهم بالبحث في التعرف على أنباء
اليم كثيرة ، ولو لم يكن منها إلا المنحة الغذائية التي يتحقتنا بها
اليم في صباح كل يوم ومساكنه لكنت هي وحدها كافية فضلاً
عن الناحية العلمية التي يجدر بنا أن نشارك فيها بحسب المستطاع .
لفتت نظري هذه الأحياء العظيمة التي نشاهدنا في البحر
في كل آن ، وهي تمشى زرافات ووحيدانا ، والتي منها ما يتحدى
سفينتنا في مجراها . فكشفت ريان السفينة الحضرمية والبحارة
وزملائهم أن لي شتقاً بالتعرف على هذه الأسماك مما شاهدنا وما
لم نشاهد . فإنا كان منهم إلا أن أمدوني بهذه المعلومات التي أدونها
« للرسالة » الفراء ، ولهم على فضل التنويه والشكر .

ولم يحجم أبناء البحر - أستغفر الله - بل أخذانه من
الحديث إلا ريثما أدون ما يفوه به التصدي للحديث ، وكنت
أدقق في ضبط الألفاظ فإية التدقيق حتى إذا ما أشكل على لفظ
استمدته مرة أخرى . هذا ما كان من جانبي ؛ أما ما كان من
جانبيهم فأنهم كانوا مرهقين أسماعهم لمحدثي . فإذا ما قدم أو أحرز
نهوره إلى غلظه في الحال .

فكانت لدى منة روحية طيلة الساعتين التي قضيتها في العوم
مع الأسماك .

علي عيود الطاهري

(يتبع)

وردة اليازجي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني

- ١ -

نحن جديرون بأن نعتى بما آثر الشاعرات العربيات من بنات قومتنا في القديم والحديث . فهذه العناية تؤدي بعض ما لمن من الحق علينا في مضمار الشعر واللغة ، وضربهن بهم وافر في إظهار شعورهن نحو لغتهن وبنات أمتهن ، ومنهن الحديثات عن تبين خطط سابقتهن فتسجن نسيجاً يليق بنا أن نطلع القراء على ما يتيسر إيراد في هذه المجلة فنحفظ لمن ذكرنا باقياً حافظاً لغيرهن من النساء أن يسلكن هذا المسلك الطريف الطريف فيكن أو تارة موسيقية لأبناء الجيل وبناته . وهذه الشاعرة وردة بنت الشيخ ناصيف اليازجي من شاعرات أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كان أكثر شعرها رثاء وذلك للنكبات التي حلت بهذه الشاعرة السكنية فانهات عليها كالسهم لأنها نكبت بكل إخوتها وأختها وأبيها وابنها وابنتها وزوجها . فبكتهم بكاء الخساء على إخوتها وأولادها ، وحنّت حنوها في نسق الرثاء وذكرتها مراراً في قصائدها المملوءة من النواح ، وهذا ديوانها « حديقة الورد » طابغاً بالرائي والمآثم والدموع السكوبية على من فقدتهن من أفراد أسرتهن الأعلام ، وغيرهم من الأفاضل الكرام .

أما سيرتها : فقد ولدت في كفر شيحا في لبنان في العشرين من شهر يناير من سنة ١٨٣٨م (١٢٥٣هـ) ثم انتقل والدها إلى بيروت وأدخلها مدرسة البنات للزسليين الأمريكيين . ولما بلغت الثانية عشرة لقتها والدها أصول الصرف والنحو والبيان والمروء فنبئت فيها ، ورآها والدها مطبوعة على الشعر فرشحها له فنظمت عدة قصائد وهي لم تناهز الرابعة عشرة . ثم أخذت تكتر من النظم والرثاء والمدح وغيرها ، وقد أجادت في الرثاء كما قلنا لما متيت به أسرتهن من المصائب الفاجعة . وقد اقتربت ، بفرنسيس شمعون سنة ١٨٦٦م وصرفت أكبر قسم من حياتها في مصر في مدينة

الإسكندرية ، وتوفيت فيها في الثامن والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٢٤م (١٣٤٢هـ) ، وتعرف بأنها أول امرأة نبئت في الأدب العربي في القرن التاسع عشر ، وتظهر كتاباتها مقطرة عظيمة في طريقة التركيب على نمط والدها ، ومحتويات أشمارها قصائد تنطق بظروف ذات علاقة متينة بتاريخ عائلة اليازجي . ولها مع أدبيات عصرها في سوريا ومصر وبفداد مساجلات ومراسلات تم عن لطف وبراعة في التعبير ، ونشرت عدة من المقالات بعضها في مجلة الضياء تناولت فيها قضية المرأة الشرقية وغيرها ، وغلبت على نظمها مسحة الشعر اليازجي في السهولة والرفة ، وقد عمرت ظويلاً . وعن كتب عنها من الغربيين المستشرق بروكلين (Brooklyn) ولما الشريون فكتيرون (١) نخص بالذكر منهم الأب لويس شيخو اليمسوي (ملاحظات شيخو : التاريخ ص ٤١٥ - ١٦ ونفس التهرست ص ٢١٣ العدد ٨٢٩) ومحاضرات الآنسة مي (مريم زيادة وقد خصصتها بها وقد طبعت في القاهرة في مطبعة البلاغ المحتوية على اثنتين وستين صفحة مع الرسم) . أما ديوانها « حديقة الورد » فقد طبع مرتين في بيروت سنة ١٨٦٧م ، سنة ١٨٨١م وفي القاهرة للمرة الثالثة سنة ١٩١٣م (١٣٣٢هـ) وزيد على طبعته الأخيرة كثير من القصائد النادرة لها . وأما شعرها فينقسم قسمين : الرثاء والمدح ، ولنبدأ الآن بالمدح . فمن ذلك أن قالت في جواب أبيات وردت عليها من وردة بنت الملم نيقولا الترك الشاعر في مطلع ديوانها :

يا وردة الترك إني وردة العرب فينتنا قد وجدنا أقرب النسب أعطاك واللك الفن التي اشهرت

الطافه بين أهل العلم والأدب

وقالت في جواب رسالة إلى الست كاتبة بنت موسى بسترس

وفي هذا تورية لطيفة لأن اليازجي بالتركية يعنى الكاتب :

(١) معجم للطبوعات ليوسف البان مركيس ص ١٩٤٩ - ٤٠

مادة يازسي ، قاموس تراجم الأعلام لجير الدين الزركلي ج ٣ ص ١١٣٤
فناة الشرق ، مجلة الآثار المجلد الثاني - بلاغة النساء لفتحية محمد . تاريخ الصحافة ليليب دي طرازي ، مجلة سيدات والرجال السنة الخامسة أعلام النساء في عالمي الشرق والاسلام لسررنا كماله ج ٣ ص ١٦ -
١٦٥ ط دمشق ، الملة الاعلامية المجلد الرابع ص ١٢٣٦ مادة يازسي
المقتطف المجلد الرابع والستون ج ٢ ص ٢٣٩ .

إلى التي صار قلبي اليوم مسكنها كأنها الشمس حلت منزل الحبل
جيلة الخلق تحكي البدر طلعتها جيلة الخلق في قول وفي عمل
وكذلك تقول :

يا من بها زهت الأيام قائلة :

لا تحسبوا أن كل الفضل للرجل
وقالت تمدح ميخائيل المدور :
نخل اليمامة يفدى نخلة ظهرت

في أرض بيروت منها الظل والتمر
ثم قالت وقد زار أباه الأمير أمين أرسلان :

تدقق في منازلنا السرور مساء حيث شرقها الأمير
أضامت بهجة كالصبح لما تجلى فوقها القمر للنير
فكادت ترقص الأكياد تبها بما ناله أو كادت تطير
وكذلك قالت جواباً لصديق أبيها محمد عاقل أفندي الساكن
في الاسكندرية :

زارت بجنح الدجى والليل متعكر

فقال الدار ها قد أشرق السحر
خود تيمس بقدر كالقناة بدا إذا رآه غصون البان تنكر
قد يفد قلوب الماشقين إذا ما هتريوما ترى الأكياد تنفطر
خطت لأهل الهوى سطرأ بوجنتها
إياكم النار لا يؤذيكم الشرر

ثم هي تقول :

أهدى إلى بيوتنا كل قافية منهن تحجل منها الأنجم الزهر
وهي تقول أيضاً :

سحبان مصر وباركن البلاغة من

به السواني فدت ترهو وتمتخر
وقالت تحبب أحد الفضلاء عن أبيات يث بها إليها من بغداد :

من الكريم بها على رسالة تفدى بكل وصيفة ووصيف
وفيها تقول :

أهديتني مدحاً به أغرقتني في بحر فضل لم يكن بمحتف
وكذلك قالت جواباً لأحد الأفاضل عن أبيات أرسلها
لوالدها من بغداد :

بينى وبينك في الأساى نسبة لا في الماني أنت فوق مراتبي
سميت كاتبة بكل لياقة وأنا كما تبين بنت الكاتب
وقالت وقد طادت صديقة لها من سفر :

زار الحبيب فزار أجنافى الكرى ودنا سرور كان عن قلبي سرى
لا تفكروا إن فاب عنى مرة
شم الكواكب أن تنيب فظهورا
ثم تقول :

أهلا بمن أخذ القلوب وديعة وأعادها منه مخوض الأبحر (١)
وقالت في رسالة إلى صديقة لها وقد كانت في سفر :

منى السلام على التي هجر الحمى فجرت دموعي كالسحاب عندما
الشوق زاد من البعاد تحسراً والنوم صار على الميون محرماً
ثم هي تقول فيها :

يا راحلا أضحى فؤادى عنده وبقيت من وجدى أراعى الأنجبا
وكذلك قالت :

منى السلام إلى من سار في السحر وبذل العين بعد النوم بالسهر (٢)

وقالت وقد بثت بها إلى إحدى صواحبها وقد كانت في سفر :
رحل الحبيب وحن صبرى قد رحل

فستى يعود إلى منزله الأول
وتضيء أرض أظلمت من بعده وتقر عيني باللقا قبل الأجل
ثم تقول :

قد قل صبرى للبعاد تحسراً

والجسم من أجل الفراق قد انتحل
يا غائباً والقلب سار بأره شوق مقيم في فؤادى كالجليل
يا بدر غبت اليوم هنا وراحلا

والبدر ليس يقبب نهراً إن أفل (٣)

وقالت في الأميرة تاج الشهابية :

تحية من مشوق زائد القلل تهدي إلى تاج مجد من ذوى الدول
ثم تقول :

(١) ديوان حديفة الورد ص ٣ من الطبعة الأخيرة .

(٢) نفس المصدر ص ٤ .

(٣) كذلك ص ٤ .

ذكرت قومي إلى ما ترتبه لهم صنعاً بجيلاً وبرهاناً لودهم
لهم علينا اليد البيضاء ما بقيت فينا حياة توالى ذكر فضلهم
يا سادة جمعهم نسبة الوطن الـ محبوب جمع الثريا غير منقصم
جددتم شخص من نهفولرؤيته كأنما هب مبعوثاً من الرحم
فلو تمكن من نطق لصافح لكم شكراً وديجيه بالدرّ والحكم
وما مديحي لكم حبر على ورق

بل خط في لوح صدري شكركم بدى (١)

إلى هنا نكتفي من قولها نظماً في المديح ، وأما الرثاء فقد
أبدعت فيه كل الإبداع وأجادت فيه كل الإجابة . فهي التي
بكت في رثائها وأبكت من سمعها أو قرأها في هذه القصائد
المهزنة التي تأتي ههنا بالميسور إرادته فقالت ترى البطريق
مكسيموس مظلوم حين توفى بالاسكندرية سنة ١٨٥٥ :

يا حاسباً دنياك دار قرار أقصر عناق فتلك أخبت دار
لا تستقر بها النفوس ولا ترى قلباً بلا غم ولا أكدار
دنيا غرور كلما طال المدى طال الغرور بمكرها القرار
ثم هي تقول :

لله يومك في الأنام فانه أبى لنا حزنا مدى الأدهار
وقالت ترى الرحوم مارون نقاش التوفى سنة ١٨٥٥ م :

الموت للناس كالجزار للغم فليس يترك من طفل ولا هرم
كأس يدور علينا ساقياً أبداً وليس يترك إنساناً من الأمم
ثم تقول :

ذابت لفرقتيه الأكياد والتهبت

أجفاننا من دموع خرجت بدم

وقالت أيضاً ترى الرحوم غالى بميث الأرميني :

ذابت بجمرة فقدك الأجسام يا فاضلاً غدرت به الأيام
ثم تقول :

قد سرت من وادى الدموع مودها

هل يرتجى بعد الوداع سلام

يوسف يعقوب مكوني

(يتبع)

خود من العرب وافت تنجلي تهباً

كالشمس تشرق فينا من أعالها

إلى أن تقول :

اللوذعي الذي الزوراء مسكنه وصيته سار في أقصى ضواحيها
حيا الحيا أربع الزوراء وأهلها وجادها النيث هتاناك يواليها
في أرضها منبع العلم الذي غمرت مياحه وارتوت منه أهلها
أهدى إلى بيوتنا كل قافية منهن تسكر لا بالخر قاريها
ولها في لبنان ذكريات ولومات حيث تقول فيه :

يا ربى لبنان حياك الحيا وسقى تربك هتان الغمام
يا ربوع الأنس يا دار الصفا يا جنات الخلد يا أهنا مقام
ثم انظرها تقول :

وخير الماء في تلك الربي كحنين من عب مستهام
بسط الزهر على أرجائه بين ورد وبهار وخزام
وترى الأطيوار في تلك الربي بين شحرور وباز وعمام
وفي تهنتها للأميرة نازلي هانم بعودتها من أوروبا تقول :

أهلا بيدات الملي والمجد والحسب سائلة الملوى للماجد النجب
شمس بدت من سماء الغرب مشرقة

فغار ما في سماء الشرق من شهب

فرع كريم أتى من دوحة سقيت

أعراقها بمياه الفضل لا السحب

وقالت تتذكر أيام الصبا :

يا زمان الصبا عليك السلام يا ربيعاً تزهو به الأيام
فيك تحمل الحياة يا زهرة الـ حمر وتنمو المقول والأجسام
لحف نفسي على أوقات أنس قد تقضت كأنها أحلام
حيث كان الزمان طلق الحيا وعيون الأكدار هنا نيام (١)
وقالت تمدح شكري الخورى والسوريين في أميركا الذين
اشتركوا في إقامة تمثال لأخيها إبراهيم .

يا من يقصر عن شكري له قلبي لا أتى من جميل الفضل والكرم
الفاضل الشهم شكر الله من لهجت

بشكره السن الأيام والمهم

الأدب في سير أهور :

ملتن

[الفيتارة الخالفة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال . . .]

للاستاذ محمود الخفيف

- ٢٣ -

البرسبيريتر والصرخة الثانية :

ويضرب ملتن لقومه مثلاً لما يقع من الضر إذا اختنقت حرية
الرأى فيستعيد ذكرياته عن رحلته في إيطاليا ويذكر كيف عده
المتفقون هناك سيداً بمولده في إنجلترا موطن الفلسفة الحرة إذ
كانوا يظهرونه على تألمهم وحسرتهم لما تصانى المعرفة عندهم من
تسلف وإعنات وقيد ؛ ويقول ملتن إن ما يسانيه طلاب المعرفة
هناك من قيود هو سبب ما اكتنف مجد أولى الذكاء من
الإيطاليين من ضباب ، وإلى تلك القيود يمزى مَلَكُ الإيطاليين
وإدعاءهم وما خلتان بارزتان في أكثر ما يكتبون ...

ويشير ملتن في فقرة قوية بالغة الأثر في النفوس إلى ضحية من
ضحايا الحرية وذلك هو جليليو الذي جاهد طويلاً ليكشف عن
الأبصار ما حجب عنها النور من غشاوة ، ويزجج عن القلوب
ما طمس عليها من خرافة وجهل ، فكان جزاؤه السجن والمهانة
وقد تحطم هيكله الذي آده البء كما آده السنون وذهب بصره
فأحاطت به الظلمة وهو الذي طالما صبر على أذى قومه وصارهم
ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

ولن يزال ملتن عظيم الثقة في إنجلترا ، بقدرها حق قدرها
ويراها خير أمة منذ قام العالم ، فهي أمة ذكية بصيرة حازمة ،
ذات روح وثابة سريعة إلى ما تريد ، لن تتخاذل عن أقصى ما
تصل إليه القدرة البشرية ، عريقة في المعرفة على اختلاف فروعها
حتى ليتمكن القول إن مدرسة فيثاغورس والحكمة الفارسية

القديمة إنما استمدتا بدايتهما من إنجلترا ؛ ولها في الدين وما هو
من بابه من المعرفة ، باع طويلاً وقدم راسخة ، فلولا ما كان من
مقاومة بعض القساوسة لوكليف^(١) ونظرتهم إليه كصياحِب
بدعة وداعية شقاق لما سمع أحد عن لوثر أو كلثمن نفسيهما ، ولن
تزال إنجلترا مبعث كل دعوة إلى الإصلاح ومنازل كل نهضة تقوم
في القارة ، وسبب لها نخر إصلاح جيرانها غير منتقص ذلك الفخر
أبداً ... وقد تأذن الله لكتيبتها بمصر جديد عظيم سوف تصلح
فيه الإصلاح نفسه ، وكان أن تجلى الله لمباده وبدأ كما هو شأنه
بالإنجليز منهم ...

ولئن عظم أمله في إنجلترا وما يرجى فيها من خير ، فإنه يوجس
خيفة من التنكر للحرية كما فعل البرسبيريتر ، ولذلك فإنه يراهم
شراً أى شر ، فإي يجيب نور هذا الأمل عن البلاد إلا عنادهم
واجترائهم على فعل ما كرهوه من قبل عما فعل القساوسة .

ويلاحظ ملتن لهم القول ويعنف عليهم كما صنع بالقساوسة فيرميهم
بالتناق والجشع ، فإيتأتى الإخلاص لقوم يكرهون الحرية ويعترضون
لها وما عبادته إلا حرفة احترفوها وتجارة يخشون كسادها ثم
يتنبأ في آخر كتبه بأن سوف يلقى الباطشون من يبطس بهم ،
ولعله بذلك يستخرج من مجرى الحوادث السياسية أن المستعنين
سوف يعملون على سحق سلطة البرسبيريتر بعد أن يفرقوا من
محاربة الملك ولقد جاءت الحوادث بعد ذلك محققة ما لمح به .

وكرهت رجعة البرسبيريتر كما يزعم إليه كل القائلين على
شؤون الدين ، ولا عبرة بالنهب ، وقر في نفسه أن حرية الفكر
والرأى مستحيلة ما دام هؤلاء قوامون على الناس ، وعنده أن
تعصب القساوسة إنما يظهر في صور وأشكال جديدة ؛ وما دام
الأمر كذلك فلا إصلاح يرتجى ؛ إذ كيف يتحقق الإصلاح بغير
الوصول إلى الحق ، ولا سبيل إلى الحق إلا الحرية ويريد بها تحرير
العقل من الجهالات والضلالات ليفكر طليقاً ويتدبر فيما جاء به
السيح غير مقيد بقيد مهما كان نوعه أو كان مبلغة من الشبهة أو

(١) مصلح دين من القساوسة في القرن الرابع عشر بطرب النيب

القائمة حوله وترجم العهد الجديد .

فكانوا على طريق الإنسانية مصايح تنطوي القرون ونورهم أبلغ وكلما اشتدت الظلمة ازدادوا ظهوراً ككواكب السماء ونوراً ... وحسبك أن يشير إلى أمتنا وأن يمدح فيها النشاط العقلي وأن يشيد بما كان يعلم آباء المسيحية الأولون من علوم الأقدمين ؛ إلى كثير من أمثال ذلك مما يسوقه براهين على فضل العقل ، ففى العقل وحده الخلاص من نير الجهل مع شرف القصد والإخلاص فى استجلاء الحق لا فى الخضوع لكل منقول والتسليم به فى غير تدبر فيه ...

وهو فيما يسوقه من هذه الأمثلة إنما يمرض بالبرسبيريئز الذين أنكروا منه ما اهدى إليه بعقله فى أمر الطلاق والذين هالهم منه تأويل ما أول من عبارات الإنجيل لتتمشى مع ما ذهب إليه من رأى أو الذين رموه بالفسوق لأنه طلب تحكيم الضمير والاستمانة بالعقل فيما يلتبس فيه الأمر من أحكام الإنجيل ولا يتفق فى ظاهره مع طبائع الأشياء .

والحق أن ملتن خليق بأن يشير إعجاب الناس به جيلاً بعد جيل ، فقد كان لشخصه من الجلال ولروحه من القوة ولنفسه من العزة ما لا يتوفر مثله إلا للأفذاذ القليلين على فترات من الزمن ؛ ولا نجد فيما تحدث عنه المؤرخون خيراً من حديث مكبولى عن خلقه فلنأت به على سرده . قال مكبولى « وبقى بعد ذلك أن نتحدث عن المئين التى استمدت خلق ملتن العام عظمته وروعته الخاصة به ، فلئن كان قد أتمب نفسه ليقضى على ملك حانت^(١) أو سلطنة كهنوتية ظالمة ، فإنما فعل ذلك مشتركا مع غيره من الناس .

ولكن مجد المعركة التى خاض غمارها من أجل ذلك الضرب من الحرية التى هو أعظم ضرورها قيمة ، وإن كان أقلها حظاً يومئذ من إدراك الناس ، وأعنى به حرية العقل البشرى كان بأجمعه مجده وحده ...

لقد رفع الألوف من معاصريه وعشرات الألوف منهم أصواتهم ساخطين على ضرائب السفن وعلى عكسة غرقة النجم ، ولكن لم يفتنوا إلا قليل منهم إلى ما يمد شره أعظم من ذلك هولاً ألا وهو الرق العقلي والخلقى ، ولا إلى ما عسى أن يمود من

(١) سياتى بيان ذلك عند الكلام على الجانب السياسى من حياته .

الضمف ؛ وإذا فالفكر الحر والرأى الحر هما سبيلتا الإصلاح الحق ولا سبيل غيرهما .

لقد جاء المسيح بالهدى والحق إلى هذه الدنيا ، وذلك ميين فى الإنجيل ، ولكن الناس بعيدون عما بين لهم من الهدى لأنهم أخذوا أخطاء المفسرين على أنها الحق المقدس وفى ذلك أبلغ الضرر ؛ ولا مخرج لهم إلا أن يناقشوا المسائل التى يحيط بها الشك مناقشة لا قيد فيها حتى يهتدوا إلى الصواب ، ولن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك إلا أن تتاح لهم الحرية ، فكان الذين يخفقون الحرية إنما يحولون بين الناس وبين ما آتاهم المسيح من الهدى وأى إثم هو أكبر من هذا الإثم ؛ وكيف يطعم المصلحون فى الإصلاح إلا أن يكفوا أبدي هؤلاء البرسبيريئز الذين يصدونهم عن سبيله ويزعمون أنهم هم المصلحون ...

بهذا المنطق القوى أزعج ملتن البرسبيريئز ، فثل هذا الكلام يكون أشد وقماً وأعظم أثرأمن الهجاءمهما أقذع ، ولذلك كانت هذه الحرب أقوى من حربه على القساوسة وإن بدت أقل منها ضجيجاً لأن سلاحه فيها كان أمضى ولأنه يقاتل فى سبيل مبدأ عميل إليه بطبيعتها النفوس ...

تلك هى خلاصة الأيرواچيتيكا ؛ ويترجم بعض النقاد وأحسبهم على حق فيما يزعمون أنه لو لم يكن ملتن صاحب الفردوس المفقود وصاحب كومس والفردوس للستماذ وغيرها من الشعر لتهدت كتاباته الثرية مع الزمن إلا هذا الكتيب الذى جله للدفاع عن مبدأ من أجل المبادئ ، فى حياة بنى الدنيا منذ أقدم عصورها إلا وهو حرية العقل لا فى تفكيره فحسب فإن ذلك طوع كل فرد ذكى بل فى إعلان ما يرى من رأى .

ويجب هذا الكتيب إلى النفوس فضلاً عما يدافع عنه من مبدأ فيه ، ما ساقه ملتن من أمثلة وما لجأ إليه من الإشارات والتلميحات كما يفعل فى شعره ، وكان التاريخ هنا هو الكثر الذى استخرج منه أصدافه وآلائه ، وحسبك أن يلمح إلى سقراط واستشهاده وإلى جليليو وما لاقى من كوارث وإلى أفلاطون ويبيكون وإرزمس وسينسر التى وصفه بقوله « شاعرنا الحكيم البرفور » ، وأضربهم عن اهدوا بنور العقل فى ظلمات الجهل

أن يلبسه كشمس فوق يده وكذؤابة بين عينيه ؛ وكانت لا توجه هجائه بوجه عام إلى المساوي الخاصة بقدر ما كانت توجه إلى تلك الأخطاء المتأصلة التي تكاد تبني على أسسها جميع الأخطاء ألا وهي العبارة الخائفة لذوى المكانة من الناس ، والخوف الذى هو ليس من العقل فى شئ من كل مجيد .

ولكى يزول أسس هذه النوازع المذلة زوالاً أشد وأوفى بالمرض ، كان يختار ملتن لنفسه دائماً مما يبذل من الخدمات الأدبية أدهاها إلى الشجاعة والجرأة ولم يكن يأتى قط فى المؤخرة بعد أن تنقص الأيدي من الجهود الخارجية وتنفذ الجنود من الثغرة ، وإنما كان يدفع بنفسه المقدمة إلى ما تتعادل دونه الآمال .

فى بداية ما حدث من أوجه التغيير ، أخذ يكتب بشكل ما فى وسعه من نشاط وفصاحة لا يجار به أحد فيها مندداً بالقساوسة ، فلما بدله أن آراءه قد تم لها الغلبة تجاوزها إلى موضوعات أخرى ، وترك القساوسة إلى طائفة كبيرة العدد من الكتاب أسرعت بعده إلى التهجيم على تلك الفئة التى تهوى ...

وليس ثمة من عمل أشد خطراً من الاضطلاع بحمل مشعل الحقيقة إلى المجالس الموبوءة التى لم يضىء فيها نور قط ولكن ملتن كان يختار لنفسه دائماً أن يقتحم ذلك الضباب الصاحب ، وكان يسره ذلك الاختيار كما كان يسره أن يركب الأخطار فى ذلك الاكتشاف الذى يمت الرب ؛ ويجب على أشد الناس إنكاراً لآرائه أن يحيطوا بالتوقيع ما لاقاه فى سبيل استمساكه بها من عنق وشدة ، ولقد ترك لغيره فى الجمل العمل على شرح الجوانب المقبولة من عقيدته الدينية والسياسية والدفاع عنها ؛ أما هو فقد جعل من نصيبه أن يؤيد العقائد التى رأى جمهور مواطنيه أنها آثمة والتى سخروا منها لأنهم زعموا أنها متناقضة ، فقد زاد عن حق إباحة الطلاق وأيد إعدام الملك وهاجم نظام التعليم السائد فى أيامه^(١) وإن عمل الخير الذى يشع النور ليشبه فى آلهة المرافقة عمل إله الضوء والخصب »

والحق أن الدفاع عن الحرية كان هدفه فى معظم ما كتب ، فقد دافع عن الحرية الدينية بحربه على القساوسة وعن حرية النشر

(١) انظر الفصل الثامن

خير على الإنسانية من وراء حرية النشر ، ومن وراء الحكم الشخصى على الأشياء يجرى به رأى غير مقيد بقيد ؛ هذه هى الأغراض التى رأى ملتن أنها بحق أعظم الأغراض خطراً ، وكان تواقاً إلى أن يرى الناس يفكرون لأنفسهم كما أنهم يشعرون الضرائب لأنفسهم ، وأن يتحرروا من سلطان الهوى ، كما قد تحرروا من سلطان «شارل» ، وكان يعلم أن الذين اعتلوا صنوف الإصلاح هذه ونفوسهم تنطوى على أحسن المقاصد ، وفتنوا بإسقاط الملك وإلقاء اللكسين الطاعين فى السجن ، إنما سلكوا مسلك الأخوين النافلين فى قصيدته اللذين الماهما فرط حرصهما على تفريق الساحر وقبيله فأهملوا وسائل تحرير أسيره ، لقد فكروا فى هزيمته فقط فى حين كان ينبغي أن يفكروا فى حل ما عقد من طلامم السحر : « لقد أخطأنا ، فإنه كان ينبغي أن تحتفظا عصاه وتشدنا وثاقه ، وذلك أننا وقد فاتنا أن نقلب المصارح إلى عقب وتقرأ فى اتجاه عكسى كلمات الساحر ذات القوة التى تفكك الأوصال ، لن نستطيع أن نطلق سراح هذه السيدة التى تجلس هنا مملولة بأغلال شديدة ، فهى فى مكانها ثابتة لا تتحرك »^(٢)

وكان العمل على أن تقلب العصا ، وأن تقرأ كلمات الساحر فى عكس اتجاهها ، وأن تفكك القيود التى تشد الشعب الأبله إلى مقعد السحر ، كل أولئك كان ما يرمى إليه ملتن من غرض نبيل ، وإلى هذا الفرض وجه مسلكه فيما يتصل بالناس كله ، فمن أجله انضم إلى البرسبتيريز ومن أجله اعتزلهم ، ولقد خاض معركتهم المحفوفة بالمخاطر ، ولكنه نأى بجانبه عنهم مشتمراً ساعة انتصارهم الوقح ، ورأى أنهم كانوا كمن هزموا لحرية الرأى أعداء ، ومن ثم فقد انضم إلى المستقلين ودعا كرمول^(٣) أن يحطم ما نسب إلى الدين من عل وأن يخلص الضمير الحر من مخلي الذئب البرسبتيرى ؛ وهاجم ملتن وهذا الفرض النبيل نصب عينيه قانون الطبع والرقابة فى مقال رفيع الطراز^(٤) يجدر بكل سياسى

(١) راجع غنائة كومنى وهذه العبارة من كلام الروح الحارس للاخوين .

(٢) سيأتى بيان ذلك عند الكلام على مطوعته الشعرية التى وجهها إلى كرمول سنة ١٦٥٢ .

(٣) يقصد به مقال الأيرى وناجيتيكار .

مطبوعاً على حب الحرية وعلى الجهر بما يؤمن أنه الحق ، ومن أجل ذلك كانت نفسه ثورة متصلة الحلقات منذ أن عصى أباه وهو صغير إذ أراد أن يسلكه في سلك الدين بالحاقه بالكنيسة وأبى إلا أن يهب للشعر نفسه ، ومنذ أن كان يتأبى على قيود عرقية في الجامعة وينكر على الجامدين فيها جمودهم ، إلى أن جاهر الإيطاليين بمخالفته لإيم في فطرتهم الدينية على الرغم مما حذر به وليسوا قومهم ، إلى أن أذن القساوسة في وطنه بحرب منه ، كل أولئك لأن نفسه تأبى إقرار الباطل ولا ترضى بغير الحق ...

ولا يسع كل منصف إلا القول بأن ما يشير إليه بعض الناس من دوافع شخصية إنما هو دليل على سلامة عنصره ونبل نفسه وسحر روحه .

الخصيف

(ينج)

الأستاذ صلاح الدين النجدي بقرم :

الظرفاء والشحاذون في العصر العباسي

وهو كتاب طريف لطيف ممتع

لا تستطيع أن تتركه حتى تقرأه كله

وفر طبع في « مطبعة الرسالة » طبعاً متناً

يطلب من دار « الرسالة »

ومن المكتب الشهيرة وثمة ١٢ تره كغير أجهزة البريد

بجملته على الرقابة ، وعن حرية الضمير بالظن على البرسبيريتر وعن حرية الأسرة بأنكار ما يتطوى عليه قانون الزواج من استبداد أو عن الحرية المدنية كما سنفصله في حينه بإعلانه السخط على طغيان التاج ...

ولكن بعض النقاد يردون ذلك إلى دوافع شخصية محاولين بذلك أن يبخسوه أعماله ، فيقولون إنه هاجم القساوسة لأنهم أبدوه عن الكنيسة ، ويدافع عن حق إباحة الطلاق لما صادف في زواجه من خيبة ، وينضب على البرسبيريتر وينتمهم بضيق العقل لأنهم لم يقروه على ما ذهب إليه في أمر الطلاق ويدعو إلى حرية النشر لأنهم أرادوا أن يخفقوا كتبه ...

وليس في وسعنا أن ننكر تلك الدوافع الشخصية التي يشير إليها هؤلاء النقاد ، فإن شدة شعور ملن بذاته من أبرز مقومات شخصيته منذ نشأهوا أكثر تصرفاته إنما تم بدافع من ذلك الشعور ، ما في ذلك ريب ، ولكننا لا نفهم كيف يتقص ذلك من قدره وكيف يمد عليه ولا يمد له ؟

هذا رجل يرى حياته وحياته غيره بالضرورة محفوفة بقيود من التائبون والترف ، فيأبى على القيد ويشور لا يريد أن يهدأ حتى يقضى على ما استرق الناس من عباداتهم ومما جرى به العرف بينهم ومما وضعت القوانين من الأغلال في أعناقهم ، فإذا بدل عليه ذلك إن لم يدل على شخصية قوية ونفس أبية وضمير حر ؟

وهل جاهد ما جاهد في غير عدو ؟ ألم يكن على حق فيما أنكروا من عيوب عصره ؟ إن كانت تلك العيوب قائمة حقاً فلا يمكن أن يقال إن أهواءه ومطالب نفسه هي التي سيطرت على فكره ؛ فلا يبقى إلا أن دوافع شخصية حركته وهذا إنما يدل على أنه أحس قبل أن يحس غيره بضرورة الإصلاح ، وأن الوضع الاجتماعي في كاله اللشود إنما يقاس مبلغ كاله بمقدار ما فيه مما يشاكل كاله نفسه وتلك غاية تتخاذل دونها النيات .

وهل كان يستطيع أن ينمض المين غير مساوي عصره لو لم تحركه دوافع شخصية إلى استنكارها ؟ ذلك ما لا يستطيع أحد أن يقول ، ولا هو بما يجوز في عمل عاجل إلا على أوزاع الناس والهمج منهم ، ولقد كان ذلك للشاعر القوي الروح العظيم الثقافة

ريوانه الطرائف :

سيط ابن التعاويذي

للأستاذ أحمد عثمان عبد المجيد

هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله ، وينسب إلى ابن التعاويذي جده لأمه لأنه نشأ في كنفه وحياته ، وكان جده هذا زاهداً تقياً ومعدتاً صالحاً .

وقد ورث أبو الفتح عن جده الرغبة في الدرس والتلقن بأسباب الثقافة ، فأقبل على النظر في كتب اللغة والأدب ، يسعده طبع أصيل ، وتعدده ملكة مرهفة ، حتى عرف بالبراعة في الكتابة والحساب ، وجلى في ميدان الشعر ، فجمع فيه بين جزالة اللفظ وعذوبته ، ورقة المعنى ودقته . وفيه يقول ابن خلكان : إنه لم يكن قبله بمثل سنة من يضاهيه . وكأنا خاف أن يتهم بالبالغة والتزيد فأردف حكمه بقوله : ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل ، فإن ذلك يختلف بميل الطباع ، والله در القائل : وللتناس فيما يشقون مذاهب .

وقد تأثر أبو الفتح في تثره طريقة ابن العميد القائمة على العناية بالتصنيع والتزين ، وصرف الجهد إلى تكلف وجوه البديع ولقد فن كتاب الدواوين جميعاً بهذه الطريقة منذ أنهجها لهم أستاذهم ابن العميد ، وأغرقوا من بعده في تصيد المحسنات ، فجنوا على المعنى ، وتحيفوا الفكرة رغبة في تجويد الصورة وتجميلها فخرجوا على الناس حيناً بثر مرقتش ليس وراءه كبير معنى ولا جليل غرض ؛ وحيناً بثر كز منقبض لا يفصح عن مراد ولا يهدي إلى قصد ، إذ جنى البديع عليه فأغمضه وأزال وضوحه وأوقع قارئه في عمائه . وحسبك أن ترسل طرفك في كتاب الفتح القسي في الفتح القسيمي للمعاد الأصفهانى صديق سبط ابن التعاويذي ترى الغرابة والاستهزام والكزازة .

وقد أورد المعاد في كتابه خريدة القصر وجريدة المعرطائفة من الرسائل التي تلقاها من ابن التعاويذي ، وفيها يتجرى الطريقة البديمية ، ويلتزم نهجها

ولقد ولى الكتابة بديوان الإقطاع ببغداد لبراعته في الحساب والإنشاء ، وانقطع إلى آل الرقيل ، وكان ولاؤه فيهم ، يمدحهم ويستمنحهم ، وكانوا سادة ذوى نفوذ وسلطان ، وقد ولى الوزارة منهم عضد الدين أبو الفرج للخليفة المستضيء . وفيه يقول الفخرى : كان من أفاضل الناس وأعيانهم ، نهض بأعباء الوزارة نهوضاً مرضياً ، وتلطف بالأمور تلطفاً لم يكن في حساب الناس وبينه بيت مشهور بالرياسة .

ويبدو أن ابن التعاويذي قد أنفق جل عمره مع آل الرقيل يمدحهم إقبالهم على بره وإنماشيه . فإن أحسن منهم إغفالا له وأطراحا لما ألزمهم من حقه جاهر بلومهم والإنكار عليهم . وفيهم يقول :

قضيت شطر العمر في مدحك ظنا بكم أنكم أهله
وعدت أنني هجاء لكم فضاغ فيكم عُمري كله
وهذا قول قاس ، يدل على أن شعراء المدح والاستمناح ما كان يردعهم عن التمدح إلى المجاهرة بالهجاء سالف معروف ، ولا سابق مبررة . وأنهم إن أعطوا منهم رضوا ، وإن لم يعطوا إذا هم بسخطون .

ولعل نهم ابن التعاويذي بالمال كان يدفعه إلى مدح غيرهم ، ولعلهم تقروا منه ذلك وأنكروه عليه لأنه إن دل على شيء فأتا يدل على أن صنائعهم إليه لا تنهض بمجاذته ، ولا تقى برغائبه . فقال يمتدح مسجلاً في صراحة أنه كخصاص الطير يمتدحه الجندوى كما يقنصها الحب ، وهو بهذا يستفيد من قول المتقدم :

يسقط الطير حيث ينتثر الحب (م) وتنشى منازل الكرماء قال :

وما زلت في آل الرقيل بمعزل عن الجور مبدولاً لي الخصب
فإن أقرت ذنباً بمدح سوام فإن خصاص الطير يقنصها الحب
وإن عاد لي عطف الوزير محمد

فقد أكتب النائي ، ولان لي الصعب
وزير إذا اعتل الزمان فرأيه ههنا به تظلي خلاقه الحرب
ولقد دفعت سلته بآل الرقيل إلى أن يناسب الوزير ابن البلدى
العناء ، وأن يهجو حين عزل أرباب الدواوين واشتد عليهم
بالمصادرة والعقاب . وكان بين عضد الدين الرقيل وابن البلدى

ولم أكره بياض الشيب إلا لأن العيب يظهر في النهار

ولما عى الناس أن يقيد ماله من راتب بالديوان بأسماء أولاده
ثقة منه بأن يجد في ذراهم برا به ما امتدت له الحياة ، وتعجلا
لسوق النفع إليهم ، ورفعا لأسباب التباغض من بينهم فلما تم
النقل والتقييد كتب قصيدة ورفعها إلى الخليفة الناصر يلتمس
فيها تجديد راتب له مدة حياته لما جر به من عقوق أولاده . وقد
أبدع فيها تصوير عقوقهم ، واحتجائهم الراتب من دونه ،
وإهمالهم أمره ، وكان الناصر من أفاضل الخلفاء ، بصيرا بليغا ،
متوقدا الذكاء والفطنة ، غير مدافع عن فضيلة علم ، ولا نادرة
فهم ، يفاض العلماء مفاوضة خبير ، فلما وقف عليها ملكك
نفسه لمذوبتها ورقتها ، وما يشيره موضوعها من إشفاق
ومرحمة ، وما افتتحها به من مدح جميل ، فأنتم عليه راتب جديد
ومطلما :

خليفة الله انت بالدين والدنيا (م) ، وأمر الإسلام مضطلع
ومضى بمدح الخليفة بانتهاجه نهج أعلام الهدى ، وما أفاضه على
الناس من عدل وخير ، وما أزاله من أسباب الخلاف والبدع ،
ثم قال :

أرضي قد أجدبت ، وليس لمن أجذب يوما سواك منتجع
ولى عيال ، لا در درهم قدأ كلوا درهم ، وما شبعوا
إذا راوى ذا ثروة جلسوا حولي ، ومالوا إلى واجتمعوا
وطالما قطعوا حبالى . إذ (م) راضا إذا لم تكن ممي قطع
يمشون حولي شتى كأنهم عقارب ، كلما سموا لسوا
ثم قال :

لم حلوق تفضى إلى معد تحمل في الأكل فوق ما تسع
من كل رحب الماء ، أجوف نا (م) رى الحشا لا يمسه شبع
لا يحسن الضغ فهو يطرح في فيه بلا كلفة ويتلغ
ولى حديث يلهى ويعجب من يوسع لى خلقه فيستمع
نقلت رضى جهلا إلى ولد لست بهم ما حيت أنتفع
نظرت في نعمهم وما أنا فى اج حنلاب قع الأولاد مبتدع
وقلت هنا بعدى يكون لكم فنا أطاعوا أمرى ولا سمعوا
واختلصوه منى ، فنا تركوا عيني عليه ، ولا يدي قمع

جفاء ما فنى يتفاهم حتى حمل عضد الدين على أن يدبر لقتل الوزير
وتم له ذلك ، ووثب من بعده على الوزارة . وفى ابن البلدى
يقول ابن التماويذى :

يا قاصدا بغداد ، حد عن بلدة للجور فيها زخرة وعباب
إن كنت طالب حاجة فارجم فقد سدت على الراجى بها الأبواب
بادت وأهلوها معا ، فييوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب
وفيه يقول أيضا : -

يارب أشكو إليك ضرا أنت على كشفه قدير
أليس صرنا إلى زمان فيه أبو جعفر وزير؟
وما زال ابن التماويذى قائما بالعمل فى ديوان الأقطاع حتى
ذهب بصره ، فاعتزله وله فى عماء أشعار كثيرة يرثى بها عينيه
ويندب الشباب وروثقه ، فيستدر بها الإشفاق ، ويستدعى أبلغ
المطف وأعمقه . ومنها :

لقد رميتى - رميت بالأذى - بنكبة قاصمة الظهر
وأوترت فى مقلة ، قلما علمتها بات على وتر
جوهرة كنت ضئينا بها نفيسة القيمة والقدر
إن أنا لم أبك عليها دما فضلا عن الدمع ، فاعذرى؟
مال لا أبكى على فقدها بكاء خنساء على صخر؟
وأنت تمثل فى هذه الأبيات حر اللوعة ، ولذع الفاجعة فى
الاعتراض بقوله رميت بالأذى ، وفى الكناية عما كرهه بقوله
قاصمة الظهر ، وفى مقالته بمقلته فلم تكن لتنام على وتر ، وفى
إنكاره أن يكون له عذر إن يبكها دما ، ومنها :

فها أنا كالقبورنى كسر منزلى سواد صباحى عنده ومسائى
يرق ويبكى حاسدى لى رحمة وبعداً لها من رقة وبكاء
وقد جاء فى عبارة ابن خلسكان نعمته إياه بالعمق فى معانيه .

واليك أمثلة من براعته فى التوليد : قال فى الشيخوخة :
من شبه المر بالكأس رسو قذاه ، ويرسب فى أسفله
فأنى رأيت القذى طافيا على صفحة الكأس من أوله
وقال فيها أيضا :

وعلو السن قد كسر (م) بالشيب نشاطى
كيف سموه علوا وهو أخذ فى انحطاط؟
وقال :

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسماعيل النسابي

—

٨٤٨ - القبر والفني

أبو بكر الخوارزمي :

إن القبر خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبة من كل رق ، لا يلزمه أداء الزكاة ، ولا تتوجه إليه غوائل الثابتات ، ولا يستبطئه إخوانه ، ولا تطمع فيه جيرانه ، ولا تنتظر في الفطر صدقته ، ولا في النحر أصحيته^(١) ، ولا في شهر رمضان مائدته ، ولا في الربيع باكورته ، ولا في الخريف فاكهته ، ولا في وقت

(١) الاضحية : ضم الهمز في الأكثر وكسرهما لإبعا لككرة الماء (الصباح) .

الجباية خراجه وعشره ، فأما هو مسجد يحمل إليه ، ولا يحمل عليه ، وعارى يؤخذ بيديه ، ولا يؤخذ من يديه ، يتجنبه الشرطي بالنهار ، ويتوقاه المسس بالليل وفي الأسحار ، فهو إما غائم أو سالم . والفني إما هو كالنعم غنيمة كل يد سألته ، وصيد كل نفس طالبة ، وطبق موضوع على شارة النوايب ، ومنصوب على مدرجة المطالب ، تطمع فيه الاخوان ، ويأخذ منه السلطان ، ويتطرق إليه الحدثان ، ويتحيف ماله النقصان ...

٨٤٩ - العفل

شرح (ادب الكتاب) لموهوب الجواليقي :

... عن محمد بن المرزبان عن شيخ له قال : قال الاصمعي : كانت العرب تقول : من كانت فيه خصلة أحد من عقله فبالحرى أن تكون سبب هلاكه .

فحفظت الحديث ، فحدثت به المدائني ، فقال : هذا حديث حسن ، وعندى آخر يشبهه ، كانت العرب تقول : من لم يكن عقله من أكل ما فيه ، كان هلاكه من أيسر ما فيه .

ثم قال :

فاستأنفوا لي ربما أعود على ضحك معاشي به فيتسع وإن زعمتم أني أتيت بها خديعة فالكريم يتخضع ولا تظيلوا مني ، فقلت ولو دقتموني بالراح أندفع وحلفوني ألا تمسود يدي ترفع في ثقله ولا تضع يقول ابن خلكان : فما أطف ما توصل به إلى بلوغ مقصوده بهذه الأبيات التي لو مرت بالجناد لاستأته وعطفته .

وبعد فإن في هذه القصيدة الطريقة اتلافا وانحما ، ورقة وانسجاما ، وتصويراً بارعا للمعقوق يهز النفس ألسا وحزنا ، وعزق القلب ألسى وحسرة . وإن الدنيا لحافلة في نصرها بالناس بأشياء هذا الحادث .

فإن قيل إن الشاعر قد نحل أبناءه هذا المعقوق ليلك من نفس الخليفة ، ويضمن انحداه ، والكريم يتخضع ، فيرجع براتب آخر - قلت : لقد جلا عن قدرته على التوبة ، وبرع مع تعود الاعتقاد عن مناصرته ، وشعور الشاعر بأنه

يترجم عن اعتقاد من أقوى أسباب إجادته وإتقانه .

وقد أذكرني موقف أبناء ابن التماويني منه بما قرأته عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان من أبر الناس بأمه فقد قيل له : إنك لشديد البر بأملك ، فلم لا تأكل معها من صحفة واحدة ؟ قال : أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققها . فأين هذا البر من ذاك المعقوق ؟

رحم الله آل البيت ، فما كانوا في الناس إلا أقباساً ساطعة من نور النبي الأعظم .

وفي الشاعر يقول يا قوت : وكل شعره غرر ، وديوانه كبير جمعه بنفسه قيل أن يضر ، وما حدث من شعره بهد المعنى سماه الزيادات . وولد سنة ٥٠٩ هـ ، وتوفي في بيضا سنة ٥٨٣ هـ وقد طبع الديوان بمصر في مفتتح هذا القرن بناية الأستاذ مرجليوث ، ولكنه اليوم عزيز لا يكاد يكون في دكاكين الوراقين

أحمد عثمان عبد الجبار

٨٥١ - أوامر

في (اللزوميات) :

وما آدم في مذهب العقل واحدا ولكنه عند القياس أوادم

جائز أن يكون آدم هذا قبسه آدم على إثر آدم
في (روح المعاني) تفسير الألوسي :ذكر صاحب جامع الأخبار من الإمامية في الفصل الخامس
عشر أن الله خلق قبل آينا آدم ثلاثين آدم ، بين كل آدم وآدم
ألف سنة ، وأن الدنيا بقيت خرابا بعد خمسين ألف سنة ، ثم
عمرت خمسين ألف سنة ، ثم خلق آدم .وروى ابن بابويه في كتاب التوحيد عن الصادق : لملك
ترى أن الله لم يخلق بشرا غيركم ، بل والله لقد خلق ألف ألف
آدم ، أنتم في آخر أولئك الآدميين .

في (مفاتيح الغيب) تفسير الرازي :

نقل في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه
قال : قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف آدم أو أكثر .

في (الفتوحات المكية) لابن عربي :

لقد أراني فيما يرى النائم وأنا طائف بالكعبة مع قوم من
الناس لا أعرفهم بوجوههم ، فأشدني بيتين ثبت على البيت
الواحد ، ومضى عنى الآخر ، فكان الذي ثبت على من ذلك :
لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طرا أجمعينا
فتمجبت من ذلك . فقال لي واحد منهم وتسمى لي باسم
لا أعرف ذلك الاسم قال لي : أنا من أجدادك ، قلت له كم لك
منذمت ؟ قال : بضع وأربعون ألف سنة^(١) . فقلت له : فما لآدم
هذا القدر من السنين . فقال لي : من أي آدم تقول ؟ عن هذا
الأقرب إليك أو عن غيره . فتذكرت حديثا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن الله خلق مئة ألف آدم^(٢) . فقلت قد يكون
ذلك الجد الذي نسبني إليه من أولئك .

(١) الألف مذكر ، في التاج : يذكر البضع مع المؤنث ويؤنث
مع المذكر يقال بضعة وعمرون رجال وضعة وعمرون امرأة ولا يحس
وفي اللامع : يخوى فيه للذكر والمؤنث يقال بض رجل وضعة نوة .
(٢) نحن في (تل الأديب) لا في (الاسلام الصحيح) وإنما
لطرائف أوروبا لا خاتني أوحيا أم أكتبها

حفظت الحديثين ، فحدثت بهما أحمد بن يوسف فقال : هذان
حديثان حسنان ، وعندى آخر يشبههما : كانت العرب تقول :
من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان سريعا إلى حتفه .حفظت الأحاديث ، فحدثت بها أبا دلف فقال : هذه أحاديث
حسان ، وعندى حديث أحسن منها غير أنه لا يشبهها ، كانت
العرب تقول : كل شيء إذا كثرت رخص إلا العقل فإنه إذا
كثرت غلا .حفظت الأحاديث فحدثت بها الحسين بن علي الكوكبي
فقال : كان الحسن يقول : ما تم دين رجل حتى يتم عقله .
وبعد ، فقد قال ابن السماك : من لم يتحرز من عقله بمقله
هلك من قبل عقله .

٨٥٠ - المعامل به امر على همر ومزنة

إرشاد الأريب : قال أبو حيان :

كان يختلف إلى مجلس أبي سعيد (السيرافي) علي بن السقير ،
وكان أبو سعيد يرفق له تقدمه على كثير من أصحابه ، وكان
يرجع إلى وطأة خلق ، وحن عشرة ، وحلاوة كلام ، وقرر
مدقع ومبشرة ضيقة وكثرة عيال ومؤنة مع نشاط القلب ،
وثبات النفس ، وطلاقة الوجه ، وكثرة المرح . وقرأ يوما على
أبي سعيد ديوان الرقش ، وأخذ خطه بذلك ، وعجل الانصراف
من عنده ، فقال أبو سعيد : أين عزمت ؟ قال : أذهب لأصلح
أمر العيال . فدعاه بالرزق والسعة . فلما انصرف قلنا له : هذا
الرجل مع ما هو فيه لا يعرف الحزن في وجهه ، ولا يشتد همه ،
ويقدر على دفعه . فالتفت بعضهم فقال : أيها الشيخ ، وراه حال
يخفيها عنا ، ويطويها منا^(١) .

قال (أبو سعيد) :

ما أظن الأمر على ذلك ، لكن الرجل عاقل ، والمائل يلو
على همه وحزنه فيقهرهما بعقله وعلمه ، والجاهل يشتد همه وحزنه ،
ويرى ذلك في وجهه ، ولا يقدر على دفعه لجهله .

فاستحسننا ذلك وأثبتناه .

(١) قالوا : خلق عليه وطلوا عنه فالتدجان مولدتان

٨٠٢ - الحوائج بين اصحاب

في (المخصص) لابن سيده :

قال محمد بن يزيد^(١) : (أما قولهم في حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرة على ألسن المولدين ، ولا قياس له) وهو في هذا القول متبع الاصمعي لأن الاصمعي قال : خرجت الحوائج عن القياس فردها ، وقد غلطا ما ، على أن الاصمعي رجع عن هذا القول فيما حكى عنه ابن أخيه والرياشي ، وذكر أنه قال : هي جمع حاجبة . وقال أبو عمر : في نفسى منه حاجة وحائجة وحوجاء والجمع حاجبات وحوائج وحاج وحرج وأنشد :
صديق مدام ما يفرق بيننا حوائج من الفاج مال ولا يحمل^(٢)
وأنشد أبو عبيدة للشماخ :
تقطع بيننا الحاجات إلا حوائج يمتد من مدى الجرى^(٣)
وأنشد غيره في نحو منه :

يارب رب القلص التواعج مستعجلات بذوى الحوائج
ولو تشاغل أبو العباس بملح الأشمار وتنف الأخبار
وما يعرفه من النحو كان خيرا له من القطع على كلام العرب ،
وأن يقول : ليس هذا من كلامهم . فلهذا رجال غيره ، وباليهم
يسلمون أيضا^(٤) .

٨٥٣ - أنه أمالت على عطفها وميرها

الظفراني :

خبروها أني مرضت فقالت أضنى طارفا شكا أم تليدا^(٥)
وأشاروا بأن تعود وسادى فأبت - وهي تشهى - أن تعودا
وأنتنى في خيفة وهي تشكر ألم الوجد والزار البعيد^(٦)

(١) المبرم وقد ورد قوله في (كامله) في شرح بيت الرامى .

(٢) أفتح الرجل أفض .

(٣) الجرى : الرسول .

(٤) يقول المريرى في الدرّة : ويقولون في جمع حاجة حوائج فيوهون فيه كما وهم بين المحدثين في قوله :

إذا ما دخلت الدار يوماً ورفقت ستوروك لى فانظر بما أنا خارج
فيان بيت المنكبوت وجوسق ربيع إذا لم تنس فيه الحوائج
الجوسق : الفصر والحوائج كما قال ابن سيده .

(٥) رواها الصفيدي في شرح اللامية ثم قال : هذه الأبيات يرشدها السمع مداما ، ويفضلها السامع على العود ظلاماً ، وظن الناظر ألفتها فصوتاً والمميزات عليها حاما .

(٦) الرواية (في خيفة) وربما كانت في (خنية) بكسر الحاء وضمه.

ورأنتى كذا فلم تماك أن أمالت على عطفها وجيدا

٨٥٤ - أعمى ، ومفلوج ، وأقطع

اجتمع على شراب في بعض الحانات أعمى ومفلوج وأقطع^(١)
فقيل للأعمى : غن ، فغنى :
إني زأيت عشية السفر حورا تفين عزيمة الصبر^(٢)
فقيل : وبلك كيف رأيت وأنت أعمى ؟ وقيل للمفلوج : غن فقال :
إذا اشتد شوقى وهاج الألم عدوت على بابكم في الظلم
فقيل : مفلوج يمدو ! لا تكذب . وقيل للأقطع : هات
غن ، فقال :

شبتك كنى على رأسى وقلت له ياراهب الدير هل مررت بك الإبل
فقالوا : أنت أكذبنا وأجودنا غناء ...

٨٥٥ - وما يفيرنى إذا حزنت ؟

إرشاد الأريب : عبدالوهاب بن غالب عن الشريف أبي العلاء
ابن التقي قال : قدم إلى واسط في بعض الأعوام عسكر الأعاجم ،
فهبوا قطعة من البلد ، ونهبوا دكان الشيخ أبي علي بن غنار ،
ونزلوا بداره ، قال الشريف فدخلت معه إليهم نستعطفهم أن يردوا
عليه بعض ما أخذوه منه ، فلم يزل ذلك وجهاً ، وخرجنا وهو يقول :
تذكرت ما بين المذيب وبارق بحر عواليتنا وجرى السوابق
ثم التفت إلى فقال : ما العامل في الطرف في هذا البيت^(١) ؟
فقلت له : ياسيدى ، ماشفلك ما أنت فيه عن النحو والتظرفيه ؟
فقال : يا بنى ، وما يفيدنى إذا حزنت ؟ ...

(١) الأقطع : المفلوع اليد والجمع قطع وقطمان مثل أسود وسودان (اللسان)

(٢) النذر : النفرق . في الصباح : نذر الحاج من منى دفنوا ، والحاج نذران فالأول هو اليوم الثانى من أيام التشريق ، والنذر الثانى هو اليوم الثالث منها . وأيام التشريق ثلاثة وهي بعد يوم النحر ، قيل سميت بذلك لأن لحوم الأضاحى تفرق فيها أى تقعد في الشرفة وهي الشمس ، وقيل تدبرقها تقطيعها وتشرىحها

(٣) في شرح السكري : ما بين المذيب مفعول تذكرت ، وجر بدل منه بدل اشتمال ، ويجوز أن يكون ظرفاً للتذكر . وفى الشرح الذى رجع فيه البرقوقي لى اواحدى وغيره : ما بين لك أن تحمله ظرفاً لتذكرت وجر بدل اشتمال كأنه قال بحر عواليتنا فيه ، ولك أن تجعل ما زادة وبين المذيب ظرفاً لجر .

وبيت مطلع سبغية يقول فيها أبو الطيب :

وما الحسن في وجه النقى شرقاً له إذا لم يحسن في فله والخلائق
وما بلد الانسان غير المواقف ولا أهله إلا دنون غير الأصدقاء
وجائرة دعوى الهبة والهوى . ولأن كان لا يخفى كلام اللطائف

مول كنب الوفيات :

مؤلفه في المقدمة الطويلة التي قال فيها بمد البسمة والمجدة والصلاة على الرسول والآل :

« وبعد ، فإن علم التاريخ مرآة الزمان لمن تدبر ، ومشكاة أنوار يطلع بها على تجارب الأمم من أمعن النظر وتفكر ، وكنت ممن أكثر لكتبه الطالعة ، واستجلى من فوائده المراجعة ، فلما وقفت على كتاب (وفيات الأعيان) لقاضي القضاة ابن خلكان قدس الله روحه - وجدته من أحسنها وضماً ، لما اشتمل عليه من الفوائد النيرة ، والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيت قد أدخل بتراجم فضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك ذهول عنهم ، أم لم يقع له ترجمة أحد منهم ، فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره من الأئمة الخلفاء والسادة الفضلاء ، وأذيل من وقته إلى الآن ، فاستخرت الله تعالى ، فانتشرح لذلك صندري وتوكلت عليه وفوضت إليه أمرى ، وسميته بـ « فوات الوفيات » ؛ والله تعالى المستول أن يوفق في القول والعمل ، وأن يتجاوز عن هفوات الخطأ والزلل . »

ثم أخذت أقلب بين يدي صفحات « الفوات » فإذا أنا أقم في نهايته على نص مهم لمصححه الشيخ نصر أبو الوفا الهوريني ، إذ أن هذا النص قد تحدث عن كثير من الكتب التي ألفت في الوفيات كتذييل لكتب سابقة أو تمليق على مؤلفات متقدمة ، وقد كفاني هذا النص مثونة البحث والتنقيب عما تحدث عنه من كتب ؛ قال :

« واعلم أن الوفيات قد اشتمل على ٨٤٦ ترجمة ، وذيل عليه عبد الباقي الخزومي الكي التوفي سنة ٨٤٣ ؛ كما تقدم في هذا الكتاب ؛ بنحو ثلاثين ترجمة ؛ وكذا ذيل حسن بن أبيك التوفي بالتاريخ المذكور ؛ وذيل عليه عبد الباقي الشيخ زين الدين عبد الرحيم العراقي التوفي سنة ٨٠٦ ؛ وأما هذا الفوات فإنه اشتمل على ٥٧٢ ترجمة ، منها نجوم ست تراجم أو سبعة مذكورة في الوفيات فليست من الفوات كما يعرفه من استقصى فهراس الكتائين ؛ وأما كتاب الواقي بالوفيات لصالح الدين الصفدي التي انتهى فيه إلى آخره سنة ٧٦٠ قبل وقته بأربع سنين فإنني كنت أظن أنه ذيل آخر للوفيات غير موجود بمصر ، حتى كتبت ذلك ببعض الهوامش بناء على هذا التوهم ، إلى أن رأيت

عود علي بدء

للأستاذ أحمد الشرباصي

كنت قد نهيت أخي الأديب الأستاذ وديع فلسطين على صفحات مجلة « الرسالة » التراء إلى أن كتاب « وفيات الأعيان » ليس كما يظن ويقول - كتاباً مقصوداً على ذكر وفيات المشهورين من الرجال ، بل هو كتاب تاريخ جامع ، فيه أخبار وأشعار ، وحوادث وقصص ؛ ولما نشرت هذه الكلمة لقيني أخي الأستاذ علي محمد حسن المدرس بالأزهر الشريف فحدثني عن هذه الكلمة ، ثم ذكر لي أنه سمع بأن هناك كتاباً اسمه « وفيات الأعيان » غير كتاب ابن خلكان ، وقد اقتصر صاحبه على ذكر وفيات من عرف من الرجال ، وأن هذا الكتاب موجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة ... !

شغلني هذا الموضوع ، فمجلت بالذهاب إلى الدار ، وأخذت أراجع فهراس كتبها المخطوطة والمطبوعة لأستبينها عما فيها من كتب تسمى بالإهم المذكور أو تقاربه ؛ فوجدت فيها كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، وهو أشهر من أن يعرف ؛ ووجدت فيها كتاب « فوات الوفيات » لحمد بن شاكر بن أحمد الكشي التوفي سنة ٧٦٤ هـ ؛ وهو كتاب متوسط ، يقع في مجلدين ، مطبوع بالمطبعة الأميرية ببولاق ، في عهد الخديوي إسماعيل باشا سنة ١٢٨٣ هـ ؛ وأنهز هذه الفرصة لأقول إن هذه الطبعة مملوءة بالتحريفات والتصحيقات والأخطاء المطبعية مما تقضى منه العين ، ويضج له المطلاع ، على الرغم من أن الطابع أجمعى في أول كل مجلد منهما جانباً كبيراً جداً من الأخطاء والنظائط المهمات ، وترك الباقي لظننة القارئ الأديب اللبيب كما يقول ... ! (١)

وكتاب الوفيات للكشي يعتبر كتذييل أو تميم لوفيات ابن خلكان ؛ وقد أوجز المؤلف عمله في كتابه ، ومجهوده في

(١) انظر التمدد ٦٨١ .

(٢) الأمن طبعة حديثة مصححة لذلك كتاب الجليل .

في كشف الظنون أنه كتاب حافل جمع فيه تراجم الأعيان ونجباء الزمان ، ممن وقع عليه اختياره ، فلم يفادراً أحداً من أعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والقضاة والعلماء والقراء والمحدثين والفقهاء والشايخ والأولياء والصلحاء والنحاة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء وأصحاب الملل والنحل والبدع والآراء وأعيان كل فن ممن اشتهر أو أنفق إلا ذكره ؛ إلى أن قال في (الكشف) : فازداد النفع به للمحدث والأدب ! .

وظاهر من عبارة الشيخ نصر المهوريني أن هذه الكتب التي ذكرها ليست مقصورة على ذكر « وفيات » فقط ؛ أما فيما يتعلق بكتاب الصفدى فواضح بما عرفناه من حديث كشف الظنون عنه ؛ وأما فيما يتعلق بالكتب الباقية فلائها تذييل لوفيات الأعيان ، فتكون على طريقته ؛ وقد عرفنا من قبل طريقة ابن خلكان في الترجمة والتاريخ .

فلنواصل البحث إذن في فهرس الدار ، علنا نجد ذلك الكتاب الذي سمع به ذلك الزميل ... ! هأنذا أجد أخيراً كتاباً اسمه « الوفيات » لمن يسمى تقى الدين محمد بن هجرس بن رافع المولود سنة ٧٠٤ هـ ؛ فقله الكتاب المنشود ، وللى أفوز بمد طول العناء بالمقصود ...

طلبت الكتاب للاطلاع عليه في قاعة المطالعة بالدار (وهو مخطوط) فلم أوفق لتحقيق ذلك ، لأن المشرفين على دار الكتب في هذا الميدان لا يحسنون معاملة المطالعين ، فتارة يقال لى : وضغ الجزء المطلوب ! . وتارة يقال لى : إن الكتاب لدى حضرات موظفى الدار ! . وتارة يقال لى إن الكتاب فى الخارج ... ! وأخيراً قيل لى بعد أن استمنت بموظف فى الدار : إنه موجود فى القارة ... !

فلم أجد أمى إلا أن أعود إلى الفهرس المفصل المطبوع ، على أجد فيه تلخيصاً لطريقة الكتاب ؛ وفملا وجدت هذا التلخيص ، وقد جاء فيه ، تحت عنوان : « الوفيات » برقم (١٣٦م) ما يلى : « تأليف تقى الدين محمد بن هجرس بن رافع ، المولود فى شهر ذى القعدة سنة ٧٠٤ هـ ، المتوفى فى اليوم الثانى عشر من شهر جمادى الأولى ، وقيل فى اليوم الرابع عشر من جمادى الآخرة من السنة المتقدمة (١) (٢) بدمشق ؛ وهو ذيل على تاريخ الحافظ

(١) هكذا فى الأصل ، ولم تسبق سنة الوفاة ، وإنما السابقة سنة الميلاد ، ولله سهر .

أبى محمد القاسم بن محمد بن يوسف الملقب علم الدين البرزالى الشافىي دمشق المولود فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٦٥ هـ فى العشر الأخيرة من ذى القعدة ، أو فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة سنة ٧٣٩ هـ حينما كان محرماً بالحج ... انتهى البرزالى فى تاريخه إلى آخر سنة ٧٣٦ هـ وابتدأ المؤلف ذيله من سنة ٧٣٧ وانتهى فيه إلى سنة ٧٧٣ هـ ، وفى آخره ترجمة الفيروزابادى وترجمة تبريضا ، نقلها عن المورد الصافى ، لابن تغرى بردى ؛ نسخة من مجلد ، مخطوطة ، بقلم معتاد ، منقولة من خط الحافظ الشهير بابن ناصر الدين ، وقوبلت عليه « ... !

إذن ليس هذا الكتاب أيضاً مقصوراً على ذكر الوفيات ، بل فيه تراجم وتواريخ ؛ وقد وقفت فهرس الدار التى بين يدي عند هذا الحد ، فأين إذن ذلك الكتاب الذى سمع به ذلك الصديق ، والذي يؤكد وجوده ويقول إنه لم يذكر فيه إلا وفيات الأعيان من الرجال ؟ ... « وفوق كل ذى علم عليم » ؛ ولذلك رأيت أن أكتب هذه الكلمة على صفحات الرسالة الفراء على يوجد بين قرائها من يعرف شيئاً عن هذا الكتاب المنشود ، فينبئنا بخبره ، ويقص علينا طرفاً من أسره ، والحقيقة بنت البحث .

أحمد السرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب

ترغب كلية الآداب فى شغل كبرىي الفنون الإسلامية الخالى بها . وتقدم الطالبات بإسم حضرة صاحب المزة عميد كلية الآداب فى ميعاد لا يتجاوز ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٦ . مع بيان المؤهلات الدراسية للرشح والتؤلفات والأبحاث العلمية التى نشرها ويكون التقييم بمقد لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وبمعاية لا تتجاوز ٩٦٠ جنيه فى السنة .

٥٨٤٩

نبئتني الهيكل يتلو الهيكلًا خالدًا في ساحة الرمل مقيم
وسيبقى موطن الشمس إلى يوم لا يبقى لها قرص ضريم

أذكروا أن التفاني والفتاب في سبيل المثل الأعلى البعيد
نقشًا فيكم وأنتم من تراب شُعلة غراء من معنى الخلود
شعلة تجلو عن الحق الحجاب

وتصنّف النفس من رجس الوجود
فاضر موا في النفس هذي الشعلا

أضرموها تكفلوا الفوز العميم
مثلما أضرمت النار على مذبح الرب بحجر كريم

أذكروا ذلك وامضوا قُدما لا تكن وجهتنا غير الأمام
تزدجينا دقة القلب كما يُقرع الطبل لجرار لهام
فَنَسِخْ الموت صَوْنًا للحَيِّ

ونذبل الممر سميًا واعيًا
فيحق نحن أحفاد الألي

أطلموا الفجر على الكون القديم
رفوا الأهرام رمزاً للملا لا يُداني شأوه غير النجوم

صفحة مطوية من الأناشيد القومية:

أذكروا...

للأستاذ عبد الرحمن صدق

يا بني النيل وأحفاد الأولى
أطلموا الفجر على الكون القديم
رفوا الأهرام رمزاً للملا والبرايا في كهوف وهشم

أذكروا أن ترى هذا البلد من تجاليد الجدود المظلماء
لا تطشها أرجل المادي الألد وبكم أبناءهم بعض الذماء
زبيها الثبر المسقى التتقد

لا الذي يقيني الشحاح الأذنياء
فانموا كثر كم أن يبذلا أو فعيشوا عمر كم عيش عديم
لن تروا في الأرض عنه بدلا مالكم كثر سوى هذا الأديم

أذكروا أن عليكم واجبا لبينا في بطون المصير
فاحفظوا هذا التراث الواصيا فهو حق الوارث المتظير
نتقاضى الإرث عصرا ذاهبا فلنصنه للمصور الأخر
سنتؤديه إليهم أكلا لم يغيره زمان أو خصيم
فحسى مصر تحاماه البلي وبنوها خير من يحسى الحرم

أذكروا حاضر كم كيف يُقام ليس يُغنيننا تليد القدماء
ما التمايل المهيات الجسام وأبو الحول رهين الصحراء!
ما السلات على باب الرجام والنواويس وفيها المومياء!
ما عظيم في التواريخ خلا في ثنايا حاضر غير عظيم
فاجعلوا عهد الملا متصلا كاتساق الدر في العيقد النظيم

أذكروا مها بلغم سؤدا أنكم لم تبسلفوا أوج الكمال
أبعدوا فوق النال القصيدا فبنوا الشمس لهم أقصى النال
كم عهدنا قرصها التقيدا فاتقدنا في جهاد ونضال

الأستاذ أبو هنود - طاع المصري بفرم:

إلى المعلمين والمربين والوالدين والمفكرين

١ - آراء وأحاديث في الوطنية والقومية

٢ - آراء وأحاديث في التربية والتعليم

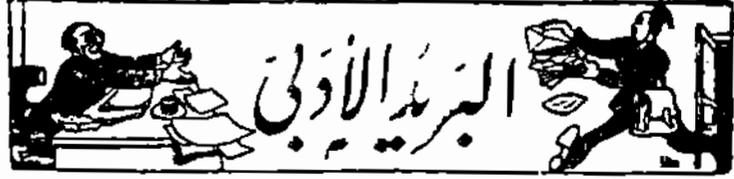
وهما خلاصة مطالعات ، وزبدة تجارب ، في ترتيب

منطقي ، وأسلوب سهل ، وصورة مشوقة . يطلبان من

إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة ٢٠ قرشاً للأول

و ٣٠ قرشاً للثاني عدا أجرة البريد

مطبوعات الجمع اللغوي :



واقفت الجهات المختصة على صرف كميات من الورق
لمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وسيشرع المجمع في طبع
مجلته ومجموعات محاضره التي تعطلت عن الظهور منذ عام ١٩٣٩ .
ومما يذكر أن المجمع لم يصدر من مجلته إلا أربعة أجزاء
ولم يصدر من محاضره مؤتمراته إلا أربع دورات مع أنه أتم الآن
اثنى عشرة دورة .

وقد أعد المجمع فعلا الجزء الخامس من المحلة وينتظر أن
يصدر في أول السنة المقبلة .

علم الاجتماع الديني :

« قل ما شئت من خير في الأدب العربي الحديث ، وسمه
كيف شئت . فهو أدب عالمي ، وهو أدب حي . وإنك لتجد
فيه شراً غزير المأدة وخيالا خصبا في عنفه ولطفه ، وإنك
تجد فيه قسما جذابة صادقة الاحساس جميلة التصوير .

« ولك أن تطلق على ثقافتنا ما يروقك من النوت . ولك
أن تحلى جيدها بما يعجبك من جميل الألقاب . فإنك لتقرأ
فيها من الانتقاد دقيقه وتصيب من الفن جليله .

« لك ما تشاء ، ولكن ، ناشدتك المولى ، لا تمت أدبنا
الفكري ولا ثقافتنا بالعلمية ، لأنك لا تجد في أدبنا تفكيراً بحتاً
ولا في ثقافتنا علماً صرفاً . ولست بهاضم لحقوقهما إذا قلت أن
أضعف ما فهمنا التفكير وأقوى ما فهمنا الخيال . »

بهذا التصور قدّم الأديب المورى الأستاذ يوسف باسيل
شلت كتابه « علم الاجتماع الديني » ويتحدث فيه عن أكثر
الأديان بدائية عند الجلف التخلفين من قطان استراليا
والقبائل المتأخرة في بقاع العالم . وهي مقدمة أحسب أن فيها
تجنباً كبيراً على الأدب العربي وليس أدل على ذلك من أن المؤلف
ذيل كتابه بقاعة مراجع عربية للأساتذة الدكتور هيكل باشا
ونقولا الحدو جرجي زيدان والريحان وسوام من كتبوا كتباً علمية
نفسية ، فضلا عن أنه أشار في مسهل كتابه إلى مؤلفي الدكتور

وفاة الطائب الانجليزي هـ . ج ويلز :

توفى بعد ظهر اليوم الثالث عشر من أغسطس الكاتب
الانجليزي الأملى هـ . ج ويلز عن ٧٩ عاما قضاها في خدمة
الفكر البشري يفكر للقادة ويكتب للناس ويعمل للأدب ،
ويكشف لركب الخليفة مجاهل الطريق ومعالي المستقبل ؛ حتى
أضاف للثروة الأدبية العالمية محصولا من الانتاج الممتاز في
السياسة والتاريخ والقصص يتسم بالبحث العميق والنظر البعيد
والألمية الصادقة . نشأ ويلز نشأة متواضعة وكان بعد أن ترك
المدرسة صيبا يتاجر أقمشة ثم مساعد الصيدل ثم وكيل للاحدى
المدارس الأهلية . وكان من أوفر كتاب عصره إنتاجا وأذيعهم
شهرة وأكثرهم قراء حتى بيع من كتابه (معالم التاريخ)
مليون ونصف مليون نسخة . وقد اتناه في سنيه الأخيرة مرض
الديابيطس واعتراه ضرب من الهم على مصير العالم ومستقبل
السلام . وقد تنبأ بالفتنة الذرية في كتابه الذي أصدره في عام ١٩١٤
بمنوان (العالم سار حراً) ، وقد عاش حتى وآها تجرب المدن
وتهدد الحضارة . وى بعض أعداد الرسالة من هذه السنة فصل
عن أدبه يفيدك أن ترجع إليه .

معجم ألفاظ القرآن الكريم :

ألفت لجنة من بعض أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية
لوضع معجم لألفاظ القرآن الكريم مفسرة تفسيراً يجمع بين
الدقة والوضوح ، واللجنة مؤلفة من فضيلة الأستاذ للأ كبير
شيخ الجامع الأزهر والدكتور حسين هيكل باشا وعلى الجارم
بك والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ ابراهيم حرورش . وقد
اختار هؤلاء الأعضاء مساعدين لهم من بين المشتغلين باللغة
والأدب من أساتذة الجامعة ودارالعلوم والأزهر ، ومحرمي المجمع .

ولكنى أرى أن الانسان متى أقلع عن الإيم لأنه إيم لا لأن الدين يحضه على ذلك ؛ وإذا فعل الخير لأنه يرى أنه خير لا لأن الدين يحثه على ذلك ، أصبح الانسان في حالة دينية سامية ، لأنه بتصرفه ذلك يجعل الدين جزءاً من حياته اليومية ، شائناً في جنبات روحه حتى ليصمى الفصل بين روح المرء ودينه . أما النظام بالدين والتباهى بالقداسة وممارسة الفرائض الدينية بطرق آلية ، فهذا امتهان للدين أكثر منه إكراماً له .

وربع فلاطين

نصريب :

جاء في مقال (شريعة الكمال والخلود) المنشور بالمعدين ٦٨١ ، ٦٨٢ من « الرسالة » بمض الأخطاء الطبعية نصحتها

فيما يلي :

الوذيلة = المرأة وصحتها : الوذيلة للمرأة
توموا وصحتها : تومهم
ولا ريب وصحتها : لا ريب
ولدحض هذه الحججة وصحتها : ولإدحاض

جامعة فاروق الأول

كلية العلوم

إعلان

تمن كلية العلوم بجامعة فاروق الأول عن حاجتها إلى معيد من الدرجة السادسة الفنية ويشترط في رانجي الالتحاق أن يكونوا حاصلين على بكالوريوس علوم ويفضل الحاصلون على الدرجة الخاصة . وترسل الطلبات باسم عميد كلية العلوم بأسكندرية في ميماد لا يتجاوز ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٦ .

٥٨٥١

على عبد الواحد وافي في علم الاجتماع وهما كتابان خيران ، وإلى باقى مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية .

وكتب الأستاذ شلحت توطئة عن علم الاجتماع انتقل إثرها إلى البحث عن تعريف « للديانة » فلم يضع لنا تعريفاً شاملاً ، بل أشار إشارات عابرة إلى تعريفات وضعها بعض فلاسفة الفرنسيين والألمانيين ومعظمها سطحى . وهناك تعريف للديانة لم يشر إليه الأستاذ شلحت وقد أورده الأستاذ رايت W.K. wright في كتابه « فلسفة الأديان » وهو : « إن الدين محاولة لاحتراز القيم الاجتماعية المعترف بها وصيانتها عن طريق أداء أفعال معينة يُقصد بها الاستمانة بوسيط معين يختلف عن الذات الشخصية للفرد ، وعن جميع الكائنات البشرية ، مع الشعور بالاعتماد على هذا الوسيط » .

وأعتقد أن هذا التعريف أشمل ما وُضع ، لأنه يستطيع أن يحتضن معظم الأديان المعروفة ، فطرية وحضرية . ولا ريب في أن التواضع على تعريف معين أمر غير يسير ، وقد أصاب الأستاذ سيلرز Sellers عند ما قال : « إن معظم الأشياء الفاتحة القيمة يصعب تعريفها على حدٍ سواء » .

وكتاب « علم الاجتماع الدينى » من الرواد في هذا الباب ، ويكاد يكون أشمل كتاب صادفنى باللغة العربية في علم فلسفة الأديان . غير أن المؤلف لم يشر إلى البيانات البدائية سوى إشارة خاطفة ، وقصر معظم كلامه على الحديث عن « الطوتمية^(١) » . وكنا نود أن يفيض في البحث في الأديان الأخرى المميّزة عن شؤون الحياة « كالنودا » و « الباجاندا » و « الفيدا » و « المانا » لأن الإشارة الخاطفة إلى بعضها لا تكفى في مثل هذا البحث .

وختم الأستاذ شلحت كتابه بفصل رائع عن مستقبل البيانات قال فيه « إن الديانة لن تظل على ما كانت عليه في العصر الأولى تقيّد حركة الأفراد وتمنع عنهم - بل التضكير الحرّ . فان التطور الدينى يحمّلنا على الاعتقاد أن القول متجهة إلى التخفيف من نير رجال الدين عن رقاب العباد وإلى التقليل من هول الدين في أعين الناس » . ولست أذهب إلى الاتفاق معه على هذا الرأي

(١) Totemisme . وأوتر أن تكتب « الطوطمية » وحبذا لو هجر المؤلف مقالاً في المنطق في عدد فبراير ١٩٤٦ = « الأديان البدائية »



قصة من الأوت الروسي الربيع :

الملاك ...

للفيلسوف الروسي الكبير لوى تولستوى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

- ٣ -

—>>>><<<<—

طفقت المرأة تحبهم بقصة هاتين الطفلتين ... وقد شاع الحزن في صوتها ، وارتم الأمل على جبينها فقالت : « إنها لقصة فاجعة ... ! لقد قضى أبوها يوم الثلاثاء ، ولحقت به أمهما يوم الجمعة بعد أن وضعتها ... وكنت أنا وزوجى نعيش ككل الفلاحين في بساطة عيش ودقة حال ، وكانت دارنا مجاورة لدارهم . لقد مات أبوها وكان يقطع الأخشاب في الغابة تحت جذع شجرة هوت عليه من حالى ، فسمعتة وفانت روحه قبل أن ييلنوا به الدار وبعد ثلاثة أيام . وضعت زوجته هذين التوأمين — ولم يكن لها من ناصر أو معين فوضعتهما وحيدة ... ولقيت منيتها وحيدة ... ! وفي اليوم التالى توجهت إليها ، أنظر ما آلت إليه حالها ... فما كدت أنحطى الكوخ ، حتى وجدتها متبسة الجسد وقد علت وجهها صفرة الموت ... وتدرج جسدها فوق هذه الطفلة ، فأساب ساقها المرج ... !

وجاء القوم من القرية — وكلهم حزين ، يأكل قلبه الألم — فسكفتموها في خال وحملوها إلى المقبرة ، ودفنوها جوار زوجها ... لقد كانت الطيبة تملأ قوسهم والمطف يفيض من قلوبهم ... ! ولكن هاتين الطفلتين أصبحتا ومالها من ولى أو كفيل ... وكنت حينئذ المرأة الوحيدة في القرية التى عندها طفل لم يتجاوز أسبوعه التاسع ... فضممتها إلى صدرى ... وعدت بهما إلى كوخى . فلما اجتمع الفلاحون راحوا يفكرون ويظلمون التفكير

في أمرهما ، وأخيراً ، قالوا لى : عليك العناية بهما الآن يا ماري ... وسوف ندبر أمرهما فيما بعد ... ! »

فأخذت على عاتق أن أرفع هذه الطفلة الصحيحة ، وأدع المراء ... فما كنت أحسب أنها ستعيش . ولكنى

تساءلت : بأى ذنب تعاني هذه الطفلة ألم الجوع ؟ ! فما لبثت الرحمة

أن فاضت بين جوانحى ... فرحت أرضعهما مع طفلى ... وقد

كنت لباثة يتفجر اللبن من ثديى فى فيض لا ينقطع ، وكان الله

يأتينى برزق هاتين الطفلتين ... فترعرتا على حين توفى الله طفلى

الوحيد ، قيل أن يبلغ الستين ... وقد أقبلت علينا الدنيا بعد

انصرافها عنا ... فزاد حبي لها وحنانى عليهما ...

أفلمم الآن سبب ذلك الحب ؟ ! إنهما ستعادتى فى هذه الحياة ،

وأملى فى هذه الدنيا ... ! « وضمت « السيدة » الطفلة المراء

إلى صدرها بإحدى يديها ، بينما ارتفعت يدها الأخرى لتمسح دموع

حارة تحدرت على خدها فتهدت « مترونا » ... وقالت فى صوت

عميق وجرس ندى : « صدق من قال « يعيش الرؤ بنير والديه !

ولكن لا يعيش بغير الله ... ! »

ورآن الصمت عليهم ... ! وبجأة انبثق فى الكوخ نور باهر

كأنه وميض البرق فى ظلمات الشتاء ... وشع الضوء من ذلك

الركن الذى يجلس فيه « ميشيل » ... فالتقت عنده أبعصارهم .

وهو على كرسيه يحدق فى سماء القرقة . وقد اقترتقره من ابتسامه

حلوه ... أشرقت فى وجهه وأضامت على جبينه ...

فلما تهيأت المرأة للذهاب . حيتهم ... وأمسكت بطفلتها .

ومضت بهما ... فهض « ميشيل » من جلسته ... ووضع ما كان

بيده وخلع عنه مئزره ... ثم انحنى لسيمون وزوجته « مترونا »

وقال فى صوت شكور « وداعاً ... أيها السادة ... لقد عفى الله

عنى ... ! وغفر لى ذنبي ... »

وراح ميشيل يتألق فى ضياء تنبث من هالة حوله ... فأمنحى

سيمون وقال فى صوت ملؤه العجب « لقد خدمت إنك لست

بيشر يا ميشيل ... وان أقل عليك بتساؤلى ... ولكن آمل أن

تخبرنى : لماذا تألق وجهك حيناً عثرت عليك فى الطريق عريان

جائماً ؟ ! ولماذا ابتسمت إلى زوجتى تلك الابتسامة الوضيئة حيناً

قدمت إليك الطعام ؟ ! وحيناً دخل ذلك « السيد الجليل » كوخنا ،

« فعدت وبدي عاطلة من روحها ! . » فسمعت الصوت العلوي يردد الأمر الجليل « اذهب ... فاقبضها ولا تكن عودتك إلى السماء قبل أن تتعلم حقائق ثلاث » :

« ما الذى فطر عليه الإنسان ؟ ! »

« ما الذى حرم منه الإنسان ؟ ! »

« ما الذى يبئس به الإنسان ؟ ! »

فعدت طائراً إلى الأرض - وأنا ارتعد فرقا مر غضب الله وأتنفض جزءاً من عقابه . فقبضت الروح ... وسقطت الطفلتان من على صدرها ، ومال جسدها على جانبها ، فخطم ساق إحدى الطفلتين فالتوت ... وهمت بأن أصعد إلى السماء أحمل الروح إليها . ولكن الريح أفتلتني وأخذت أجنحتي تتضائل وتنسل من ظهري ... فصعدت « الروح » وحدها إلى الله ... بينما سقطت أنا على الأرض في جانب من الطريق ! .

ففر سيمون فاه ... ونظرت « مترونا » في بلاهة يشوبها الدهش ... لقد أدركا الآن من كان يضمه دارهم ويبئس بينهم ويأكل من طامهم ... فترقرقت الدموع في عيونهما ... وراحا يبكيان في نسيج ومزيج من الرهبة والرح . والإجلال والفرح وانطلق الملاك يقول : « لم أكن أعرف حاجات البشر من جوع وعمرى حتى صرت بشراً مثلهم ... كفت وحيداً ... بهرؤنى القر ، وانتور من الجوع ... ولا أدري ما الذى أفعله في هذا العالم وامتد طرفى ... فلمحت كنيسة على مهراء ... فتوجهت إليها عسانى أجد نمت موثلاً ... بيد أنها كانت مغلقة ... فتوجهت إلى ما وراءها ... حيث قعدت أتوق بها الريح العرصر التى تسفح الوجه ، وتضك الجسد ... !

فلما غشى المساء عيون الكون ... رأيت إنساناً يقبل وحيداً على ... وبينه وبين نفسه حديث ... ولأول مرة رأيت وجه الإنسان ... ذلك الوجه الخيف الميت فأشحت عنه برأسى ... وطرق سمى ذلك الحديث أو تلك الخواطر التى كانت تضطرب بينه وبين نفسه ... وتنمكس على شفثيه فيرتفع بها صوته ... كان يتساءل كيف أنه يقى جسده لفحة البرد وقشمية الشتاء ، ويشذى زوجته وصناره بماله اليسير ...

فمرت أفكر « هذا إنسان يدبر ملبساً له في الشتاء ... وطعاماً لمائلة ... فكيف يقدم لى يد المساعدة ؟ ! » فلما لمحت اضطرب فرقا وجزعاً ومرى في الجانب الآخر من الطريق ...

لنصنع له حذاءً إقتر تفرك عن بسمة مثيلة بها ؟ . وأخيراً حينما أتت هذه السيدة مع هاتين الطفلتين تألق وجهك بإبتسامة ثالثة في جلال وبهاء ...

نشدتك الله يا ميشيل أن تطلنى على سر ذلك الإشراق ، وعله هذه الإبتسامات الثلاث ؟ ! ! » ...

قال ميشيل في صوت هادى رخيماً « لقد انبثق الضوء عني وأشرق النور منى لأن الله يماقبنى ... بيد أنه عز وجل غفر لى ذنبي أخيراً ! ... والسر فى تلك الإبتسامات الثلاث أن الله أرسلنى كى أتعلم ثلاث حقائق ... وقد تعلمتها ... !

لقد تعلمت واحدة حينما فاضت الرحمة من قلب زوجتك ... فكانت الإبتسامة الأولى !

وتعلمت الثانية حينما سمعت ذلك « السيد » يتحدث عن حذاه ، فكانت الإبتسامة الثانية ! !

وتعلمت الثالثة عندما رأيت هاتين الطفلتين ... فكانت الإبتسامة الثالثة ! !

فقال سيمون فى دهش ورجاء « خبرنى لماذا عاقبك الله يا ميشيل ؟ ! وما هذه الحقائق الثلاث ؟ ! »

فأجاب ميشيل فى صوته الهادى الرخيماً « لقد عاقبنى الله لأنى عصيت له أمراً ... لقد كفت ... ملاكا أسبغ فى ملكوته الأعظم ... فأترنيت ذات يوم إلى الأرض لأقبض روح امرأة من خلقه ... فأبصرتها راقدة على سريرها وحيدة - وقد وضعت توأمين ! - فلما أحست دنوى منها ، أدركت أنى رسول الله إلى روحها ... فقالت وقد كادت أن تحبس صوتها للسموع : « أيها الملاك ... لقد مات زوجى منذ أيام ومالى من أخت أو عممة أو ولىة ترعى طفلى ... فلا تقبض روحى ! ودمنى أرضعهما وأرماه حتى تستويا على سوقهما قبل أن أموت ! إن الأطفال لا تحتمل العيش دون أب أو أم ! . »

فأصغيت إلى حديثها الرقيق الرقيق ... ووضعت إحدى الطفلتين على صدرها والأخرى على ذراعها ... واشتيت آيباً إلى الله تعالى فى السماء ... وقلت فى خشوع « إنى عاجز عن أن أقبض روح هذه الأم ... لقد قتل زوجها تحت جذع شجرة منذ أيام ... وولدت لها اليوم توأمين ... وتوسلت إلى الأأسل روحها قائلة « دمنى أرضعهما وأرماه حتى تستويا على سوقهما قبل أن أموت ! إن الأطفال لا تحتمل العيش دون أب أو أم ! . »

لا تتحمل العيش دون أب أو أم ... « بيد أن امرأة غريبة عنهما
كفأتهما حتى نمتا وشبنا ... وأدركت مبلغ ذلك الحب الذي
يختلج بين جوارح تلك الظئر الحاضنة ... قرأيت في شخصها
وجود الله ... وتملت الحقيقة الثالثة وهي « ما الذي يعيش به
الإنسان؟! » ... إنه « الحب » ... وعلمت أن الله أوحى إلى
بالدرس الأخير ... وأنه عني عما تقدم من ذنبي ومن عصيان أمره
على غير بصيره ... فكانت الابتسامة الثالثة !! »

أضحى « الملاك » وهو عار مما عليه ... يشع من جسده نور
قوى يبهز الأبصار ... وراح صوته يخفت وينخفض حتى صار ،
وكأنه لا يأتي من فيه ... بل يأتي .. من السماء ... !

« لقد علمت أن البشر لا يعيشون بالحرص على حياتهم ...
بل بالحب المنروس في قلوبهم وهل تقع حرص الأم على بنتها؟!
لا بل كان حب الظئر لهما !! »

ولقد عشت - عند ما كنت إنساناً - لا بالحرص على
حياتي ... بل بالحب الذي يختلج بين جوارح عابرسيل ... وبالرحمة
والعطف الذي انبثق في فؤاده هو وزوجته على ...

إن الحب شيء فطر عليه الإنسان وغرس في قلبه ... وعليه
يعيش وبه يحيا في هذه الدنيا ... ! وكنت احسب أن الله وهب
الحياة للبشر ، ومنحه الأمل في أن يعيش ... بيد أني الآن علمت
أشياء أخرى ... ! علمت أن الله لم يخلقه كي يعيش وحيداً فريداً .
بل خلقه ألوفاً ساعياً للارتباط بغيره ... عرفت أن المرء مع تخيله
أنه يعيش بالحرص على حياته ... فهو يعيش في الحقيقة بالحب ...
لأن من كان الحب يملأ قلبه ... ففيه نفحة من الله ... فالله عز وجل
هو الحب ... والحب هو الله !! ... »

ثم ارتفع صوت « الملاك » في جرس ندى يردد أنشودة
ملائكية يحمده فيها الله ويثنى على آلائه ! فكان الكوخ
والأشجار والطيور تتراقص وتهتز وكأنها تسبح بآيات الله ...
وانحسر سقف الكوخ حيث ارتفع عمود من النور يربط السماء
بالأرض ... نخر « سيمون » وزوجته وأطفاله وقد ملكت
نفوسهم الرهبة والخشوع ، وملأت قلوبهم الخشية والإجلال !
ونبت « الملاك » جناحان على كتفيه ... حيث راح يسبح
بهما مصعداً إلى السماء ... !

فلما أفق « سيمون » ... وراح يقلب طرفه فيما حوله ...
رأى الكوخ وقد أصبح كما كان ... وليس فيه سوى زوجته
« مترونا » وأطفاله الصغار ...
مصطفى جميل مرسى

فتداركني اليأس ، لولا أني أبصرته ينقلب راجعاً إلى ... فرفعت
إليه بصري فلم أعرفه ... لقد كان يرتد الموت على جبينه ...
أما الآن فسوف يعيش ... لقد عرفت في شخصه وجود الله عز
وجل . ! ألبسني ثوباً عليه ، وأخذني معه إلى داره حيث وجدت
من هي أسمى قلباً وأشد كلاماً ، لقد شاع في صوتها الموت ،
وأبصرت من حولها الهلاك ... كانت تود لو ألفت بي إلى قارعة
الطريق ... ولو أنها فعلت ذلك لكان الموت من نصيبها . !

فلما بدأ الرجل يحدسها عن الله عز وجل ، لان قلبها ومال إلى
فؤادها ... فأحضرت لي الطعام ، ونظرت إلى وجهي في عطف
وشفقة ... فمرفت في شخصها وجود الله ...

فتذكرت أولى الحقائق الثلاث التي أمرني الله بأن أعلمها
« ما الذي فطر عليه الإنسان؟! . »

فأدركت أن الذي فطر عليه الإنسان هو « الحب » !! وقد
تولتني الهجة حينما علمت أن الله أوحى إلى بالدرس الأول ...
فأفترت ثغري عن الابتسامة الأولى ... ولكن بقي على أن أتعلم
الحقيقتين الأخرتين : « ما الذي حرم منه الإنسان؟! » و « ما
الذي يعيش به الإنسان؟! »

« مضى عام وأنا أعيش بينكم ... فلما أتى ذلك السيد الجليل
بأمرنا بصنع حذاء له على الأبيلى أو يخلق قبل أن تنقضى سنة
على ذلك ... نظرت إليه .. وعلى حين غره لحث فوق رأسه
رفيق « ملاك الموت » ولم يره أحد سواي ... ولكن عرفته ،
وأدركت أن الشمس لن تغيب عن الأفق إلا وقد غابت روح
ذلك الرجل عن جسده ... فتمعجبت ... إن هذا الرجل يمد العدة
لعام يأكله ... ولا يحسب أن قضاءه قد حم ... وأن المساء لن
يأتي عليه إلا وجنته مسجاة هامدة ... »

فتذكرت الحقيقة الثانية ، فكان الله يوحى إلى أن تعلم
« ما الذي حرم منه الإنسان؟ » فابتسمت للمرة الثانية ...
ومكثت أنتظر أن يوحى إلى الله بالحقيقة الثالثة « ما الذي
يعيش به الإنسان؟! »

وفي العام السادس . جاءت امرأة ومعهما توأمان صغيرتان
فعرفت الطفلتين وعرفت أن الله قد قبض لهما من كان أحق
عليهما من أمهما ... فماشتا وترعرعتا . !

ولما سمعت ما قصته علينا من كفأتهما رحت أفكر مستغرقاً
« لقد توسلت إلى الأم أن أدعها حية حتى ترعى الطفلتين ...
الضعيفتين ... واعتقدت أنها على حق حينما قالت « إن الأطفال

مطبعة الرسالة

تقدم قريباً

الطبعة الثانية من كتاب :

في أصول

مخاضيرت ومقالات في الآداب العربية

بم الأستاذ

محمد بن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات في الرسائل البرقية

إن الإعلان في الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصري بأجمه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للعلن الذي يري إلى رواج أعماله وللتاجر الذي يبني التوسع في تجارته وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر في هذه الرسائل زهيدة وفي متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيهاً وكل نصف مليون بثمانية وعشرين جنيهاً فضلاً عن تخفيض معين في المائة إذا بلغ المراد نشره مليوناً أو أكثر من الإعلانات .
انهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

بالإدارة العامة — محطة نصر

بقسم النشر والإعلانات

ولزيادة الإيضاح اتصلوا : —